خواطر

على ضِفاف البحر

خواطر

على ضِفاف البحر

تأليف:

هنادي صافي حسين

الطبعة الأولى

1439 هـ- 2017م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2017/7/3581)

هنادي صافي حسين،

حواطر على ضفاف البحر / هنادي صافي حسين .-عمان:دار زهران للنشرالتوزيع، 2017

(   ) ص.ر.أ. 2017/7/3581.

الواصفات:/الأدب العربي//الحواطر الأدبية/

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي

دار زهران للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5331289 – 6 – 962+، ص.ب 1170 عمان 11941 الأردن

E-mail : Zahran.publishers@gmail.com

www.zahranpublishers.com

المقدمة

نظرًا لتزاحم الأفكار في عقلي، والمشاعر في قلبي ارتأيتُ أن أجمع في هذا الكتاب الصغير مجموعةً من الخواطر الأدبية البسيطة في عدد كلماتها والعميقة في معناها، لتُعبّر عن ذاتي الإنسانية فيكون لها وقعٌ في نفسي ورُبّما في نفس أيّ قارئٍ لها لعلّها تمسّ وجدانه، فتُلاقي عنده أثراً وتَعلَقُ في ذاكِرَته.

أسمَيتُ هذه المجموعة (خواطر على ضِفاف البحر)، واخترتُ اسم البحر لها لمدى عمقه وأثره الكبير في نفسي؛ فهو المُلهم الأوّل لي، وعزف أمواجه كان حاضرًا في قلبي ليُطربه ويبحر به إلى عوالم أخرى محفّزاً إياه ليُعبّر عمّا يعتريه بكتابة المزيد علّه يرتوي، والبحر أيضًا هو جُزءٌ من الطبيعة التي تمنحني السكينة والهدوء والاسترخاء لأبوح بدواخلي دون أن أعي ما أقول؛ فجمالُ الكلماتِ والحُروف نابعٌ من اللاوعي، وهنا تَكمُن الحقيقة.

وإيماناً منّي بأنّ الفنون بشكلٍ عام هي مُكمّلة لبعضها اعتمدتُ خلال كتابتي لهذه الخواطر على فن الكتابة وفن الرسم خاصّةً الرسم التشكيلي؛ فأغلب الخواطر المكتوبة أرفقت معها رُسومات أو صورٍ تُعبّر عنها قد تكون لرسامين عالميين أو رُبّما رسامين غير مشهورين ولكن رَسماتهم وصورهم كانت ملهمة لقلمي وحفّزته على الكتابة، وتَعمّدتُ في آخر جزءٍ من الخواطر ألا أرفق أية رسمة أو صورة وذلك كي يكون القارئ هو الرسّام الذي سيُبحر بين الألوان ليرسم صورةً من وحي خياله تتحدّث عنه.

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى قلبي ونفسي وجسدي وحواسي؛ فلولاها لما كُتِبَ يومًا، وأهديه إلى أيّ ملهمٍ اعترض طريقي وساندني دون أن يعي ذلك، ولا أنسى أيضًا عائلتي وأيّ شخصٍ أثّر بي وكان داعمًا لي لبذلِ المزيد.

حين أَلمحُ طيفَكَ وهو يتراقَصُ أمامي خلسةً يَنطفِئ الحنينُ في قلبي المُعتم، وتَرتوي عَيناي شَغَفًا.



تحتضِن الحياةُ في جَنباتِها:

ماضٍ جعلناه عدوًّا حتى أصبحنا أسيرين له

وحاضرًا تجاهلناه حتى أننا لم نَشعر بوجودِهِ

ومُستقبلًا حالمونَ به وخائِفون من نتائِجه

فعلاً يحقّ للزمان أن يتعجّبَ من عَدم اتّزاننا .. فكيف نُلغي الحاضِر وهو أساسُ عَيشنا؟!! وكيف نشكو دائمًا بشعورِنا بالتّعبِ والضّجر والمَلل حتّى نصلَ درجةَ الاختِناق...

أما آنَ الأوانُ أن نتَناسى صعابَ الماضي وأن نجعَلَها درسًا يؤازرنا كي نُواجه المستَقبلَ لنشعُر بلذّة الحياة؟!!



تَسيرُ أصابعي نحوَها بسلاسة، تُصدِر ذلك الصوتَ العذبَ المليء بالعَواطِف الجيّاشةِ لحنًا يملأ الحياة ... تلك الآلةُ تتحدّث عنّا بمَعزوفةٍ بسيطةٍ تحمِل في طيّاتِها الكثيرَ لتُعبّر عَن مَشاعرَ البَشر.



في داخِل كلٍّ منّا متاهةٌ يَسير فيها ساعيًا لتحقيق ما يريد؛ فأحلامُنا عميقةٌ تتخطّى الجُدران وتلوجُ في البحثِ عن السّبل لتُحقّق ما تَصبو إليه، وأمانينا تائِهةٌ مُعلّقةٌ في السماء تُحاول أن تَجد منفذًا تمرّ منه، والطّرق أمامنا كثيرةٌ ولكِنّها مُتَشعّبةٌ كلما دخلنا إليها تُهنا بين شَوارعها، ولكنّ الإصرارَ والأمَل يتجدّدُ في نُفوسِنا كلّ يوم وقُلوبنا دائمة التعلّقِ بما يُسمّى الانتظار!!...



ما بالُ السماء حَزينة اليَوم؟!! ربما اشتاقت لك أيها القمر، لِمَ أنتَ غائبٌ عنها؟ فقد تركَتَها تسرحُ بأفكارِها بعيدًا .. تُسعِدُ كلّ من حولِك بجَمالكَ ولكنّكَ تَنسى أنّها هيَ من احتَوتك .. أصبَحَت شاحبةَ اللون، ومزّقتها الوحدةُ بحثًا عنك، طالَ انتِظارُها حتى كادَ صبرها أن ينفد !! عُد إلى رُشدك وإلّا استَغنتْ عنكَ للأبد!!



أوراقٌ مُتناثرةٌ في كلّ مكان، هي ضائعةٌ لكنّها تبحثُ عن ذاك الطريق الصّحيح لتَعودَ إلى بيتِها.. شمسٌ باهِتةٌ مَليئة بالتفاؤلِ والغُموض في آنٍ واحد.. بردٌ عندَ شُعوري بهِ أُصابُ بقشعريرةٍ تَهزّ كَياني من الوريد.. أشجارٌ تَقتلعُ رداءَها ثمَ تَلبسه مرَةً أخرى لتُذكّرني بضرورةِ إعادةِ إحياءِ قلوبِنا لتنبضَ بالحياة .. غيابك طال ونسيت ما بيننا من الوصال... أعلم أنّك أيّها الخريفُ آتٍ لا محالة .. ولكنّ للمُشتاقِ لوعةٌ تَجعله يُعاني من طولِ الانتظار.



أتَت تِلكَ الغَيمةُ المُعلّقةُ في السّماءِ حامِلةً مَعَها رائحةً من الشتاء، قَطراتٌ تَتَساقطُ لتُخمدَ النار المُشتعلَةَ في قلوبنا، أهلًا بكِ أيّتها الأمطارُ؛ فمُنذُ فترةٍ طويلةٍ لم يحل عَلينا زائرٌ ليسعدنا، أتيتِ لتُنقّي أجسادَنا، وتَغسِلي أرواحَنا ممَا عَلِق بِها خِلال هذه السنة، أحيَيتِ الأرض التي كانت مَريضةً مغَطّاةً بالتُرابِ و أنعشتِها من جَديد

انتظرناكِ بلهفةٍ لأنّنا في أشدّ الحاجة إليك؛ فشُكرًا لكِ لأنّك أشبعتِ رَغباتِنا الكامِنة في قلوبنا، ولأنّكِ أعدتِ ذكرياتنا الجَميلة مرّة أخرى... قبل مغادرتكِ انتظري لي رجاءٌ منكِ.. اجعلي زيارَتَك في المرّةِ القادمة أطول...



منذ اثنين وعشرين عامًا أمسَكتُ ذاك الكِتابَ المليء بالصفحات، شَغَفي بالقراءةِ جَعلني أواظبُ على التمعّنِ في مضمونه، كلّ يومٍ كنتُ أنهي صفحةً لأصِلَ الى أخرى مختلفة في مُحتَواها عن سابِقَتها ..
طويتُ العديدَ من الصفحات فوجدت أنّ لها طابعاً خاصاً ممزوجاً بالفَرَح والحُزنِ والاشتِياق، ممّا جَعلها تعلقُ في ذاكرتي... أكثر ما يُميّز هذا الكتاب عن غيره عُنصرَ التّشويقِ الذي يَتخلّل في كلّ حرفٍ مِنهُ ليَجعلكَ تتمنّى أن تَصلَ إلى حرفٍ آخر، بحثتُ عن نهاية الكتاب ولكن حتى الآن لم أصل إليها، فتذكّرتُ فيما بعد أنّي لم أقرأ عنوانَهُ فربّما يَدلّني على النهاية، فعُدتُ إلى غلافِه لأجد أنّها روايةٌ طويلة اسمها (حياتك في كتاب).



تلك الكلماتُ تسرِي داخلَ شَراييني لتِصلَ إلى الصّميم، كَتَبتها وَجعلتُ لكلّ حرفٍ منها طابعًا خاصًّا، هي ربّما ذكرياتٌ أو وقائع، وربّما هي لا تَعني شيئًا سوى أنّها كتاباتٌ عابرةٌ خطّتها أنامِلي في لحظة مَلل، نعم لَستُ جبران أو مستغانمي ولا يُمكنُ أن أكون المتنبّي، ولكنّ وقعَ أحرُفي البسيطة هو بمَثابةِ معزوفةٍ كلاسيكيّةٍ تبعثُ الرّاحة في نفسي.



خَلفَ القُضبانِ أنت، وهِيَ خارجُها مُمزّقةً تَبحثُ عن خَيالكَ الضائع، وتُلملِمُ آثارَك الممحوّة؛ فهي مَحبوسةٌ داخلَ قضبانِ قلبِكَ والغَصّةُ لا تُفارِقها بسببك...

كلّ يومٍ تأتي لزِيارتك، فهيَ حبيسةُ أنفاسِكَ التائهة وأنتَ حبيسُ أفعالِك، هيامُها بكَ جَعلَها تواظبُ على تلك الزيارة لتَبكي أمامَك، ولتكونَ شاهدًا على تَلاشي مَلامِحها التي سببتَها أنت والزمن... لا تَرجوها مُعتذرًا فهي ضَحيّتُك أيّها الجاني.



صِراعُنا الدّائِمُ مع هَذهِ الحياة سُرعانَ ما يُهلِكُ أجسادَنا البالية الّتي تقفُ دائمًا على حافّةِ الهاوِية مُنتظرةً نِهايتها، ليتَنا كَهذه الشّموع التي عَلى الرّغمِ مِن شدّةِ صِراعِها مع الظلام الحالِك تتربّصُ بذلك النور الذي هو سَببُ بقائِها على قيد الحياة



كم هو دافئ ذلِكَ الصّوت حينَ يُعبّرُ عن مَكنوناتِنا بلحنٍ عذبٍ فيَلوجُ داخِلَ أعماقِنا ليأخُذنا إلى أحلامِ اليقَظَة لنَسرَح طويلًا...!



حتّى لَو كانَت بَعضُ أحلامِكَ صعبةَ المنال، اجعَل الإبداعَ سَبيلًا لتَحقيقها، فَربّما لوحَة بمَضامينَ بسيطةٍ تَجعلكَ تُحلّق بعيدًا وإن رأيتَ كلّ الطرقِ أمامَكَ مُغلقة، فمن يدري؟!! لعلّ الحُلمَ يُصبِحُ حقيقةً، ولو حتّى لم يدركه غيرك!!



اشتَقتُ لكَ في هَذه الليلة الّتي سَكَن الهدوءُ جسدَها؛ فغِيابُك لليلةٍ واحدةٍ جعَلَني أحنّ لابتِسامَتكَ التي تُسري الأملَ إلى أعماقي، وأفتقر وَهيجَكَ الّذي يشعّ لتُزيلَ عتمتي وتبدلَها نورًا... أحتاجُ أن أستمدّ صبرَك لألقيَ خلفي عثراتٍ خطّتها الأيّام لي... أتعلم؟ عَلّمتَني الحبّ والدّفء، وأدخَلتَ إلى قاموسي مَعنى الاحتواء فأنت احتَويتَ عَقلي وقَلبي ... أدري أنّ جَسَدك مع السماء ولكنّي موقنةٌ بأنّك معي قلبًا وروحًا ولو حتّى في خيالي؛ فمن يَدري ربّما تتجسّدُ أمامي يومًا ما يا قمري...!



يا مَن سَكنتُ داخِلَ جَسدها، يا أوّلَ مَن لمحتُ تَفاصيلَ وجهِها، يا هواءً يدبّ الحياةَ لِمَن فَقَد روحَهُ، يا ابتسامةً تُحيي العظامَ بعد موتِها، يا قيثارةً تَعزف ألحاناً عجز العازفون عنها، يا بحرًا احتوى همومًا تَكسِرُ جبالاً من شدّتها، يا شمعةً أضاءت لنا نوراً لتتَفتّح كلَ الطَرق أمامَنا، يا سحابةً أمطَرَت عَلينا دِفئاً وحَنانًا، يا جِسراً عَبرنا من خلاله مِحَناً كادَت تُبيدَنا، يا معشوقةً أذابتِ الكُتّابَ والشّعراء في وصفِها، أهديكِ كَلماتٍ عَجز القلب عن كتمها، فتلك الحروفُ لا تليقُ إلا لعظيمةٍ مثلك.



كَعادَتِها كُلّ يومٍ جَلسَت على كُرسيّها الخَشبيِّ لتَسرَحَ باللوحةِ الطّبيعيّة الربّانية من نافذَتِها، فَهي لا تَنتعشُ إلا بالتأمُّل، أتاها بَغتةً مُمسِكًا رسالَتهُ الأولى التي ملأ أريجُها الغُرفةَ ليُذيبَ قلبَها، ابتسَمَ ابتسامَته المُعتادةَ مُتأهّبًا لوقعِ كلماتِهِ في نفسِها، أمْسَكَت رِسالَتهُ لتفتحها وتَرَى ما احتوَته، تَلاعَبت الأفكارُ في رأسِها عمّا تتضمّنُه الرّسالة، ومَدى طول الوقتِ الذي استغرَقَهُ في كتابَتِها، وما إن بدأت بِقراءتها حتّى ارتَعشَ جسدُها فرحًا، وبان بريقُ عينيها الطفوليّ بِعبارتِه الصّغيرة التي انسابَت مَكنوناتها كنهرٍ دافئٍ يَنجرفُ طوعًا، تَلعثَمَ قلبُها في نطقِ دقّاته المُتراكِضة، ودبّت الحياةُ في عروقِها من جديد، فغزت عبارتُه (أنتِ لي) لتلوج داخل طبلةِ أذنها متراقصةً.



خَرَقَ صمتُ الليلِ مَسامِعِها لتَكونَ لحظةً مُلائِمَةً للتأمّل والتفكّر؛ فتلكَ حاجَةٌ مُلحّةٌ اعتادَت عَليها منذُ طفولَتها لتُنمّي تَفاهُمها الرّوحي مع نَفسِها؛ فالرّغباتُ تفصِحُ عن نوازِعها في الليل بعدما كانت مُنطويةً على ذَاتِها في النّهار... فتَحَت عينيْها لتُصافِحَ أنسامَ الهواءِ الباردة، وليُعانِقَ جَسَدها القمر، مُكملةً مَسيرَها في رِواية الحَياة.



لا تبخَل عَلى نفسِكَ بالدّعاء كلّ ليلة، وتَحرّر من قُيودِك الباطِنة داخِلَك، وحَلّق بأحلامِك طالبًا ما تظنُّ أنّه مُستحيل؛ فقد يَعلو صدى صوتكَ ليَصل مداهُ عنانَ السّماءِ في لحظةٍ اعتقدتَ فيها قدومَ النّهايةِ لتجدَ أنها بوّابةٌ لبِدايةٍ أخرى.



عَلى تلكَ الأطلالِ جالَت بخَواطِرها وتمَنّت، تلاشى الكونُ أمامَها وتبدَد، تسلّل الهواءُ إلى مسامِ روحِها لتنتَعشَ أنفاسُها وتتجدّد، أمطَرَت عينيها دمعًا أحيا الأرض بعد أن جفّت، قرأت وكَتبتْ لتخمدَ شوقًا استوطَنَ في قلبها وتثبَت، عَبرت بخيالها دولاً وبحارًا وهي متَسمّرةٌ مَكانها حتّى نسي جَسَدها كيف يتحرّك؟!



لا تُحاوِل أن تُحادِثها، أو تَعتَذرَ منها؛ فنَحيبُها المَرير على إهمَالكَ لَها ما زالَت آثارُهُ ساكنةً في جَسَدها، ودُموعُها الحارقةُ غطّت مَلامحَ طُفولَتها التي تَملأ وَجنَتيها، أولِعَت بكَ اشتياقًا وحُبًّا وأنت غير مُكتَرث بذلك، جِئتَها بعد أن فاتَ الأوان، أي جنونٍ هذا؟!! تحمّلتْ قسوَتَك وقلّة اهتمامِكَ، وتَركتَها مُثقلةً بالأوجاع، دَعها حبيسةً بالألَم، واترُكها للقَدَر لعلّه يُصلِحُ ما دمّرتَه أنت.



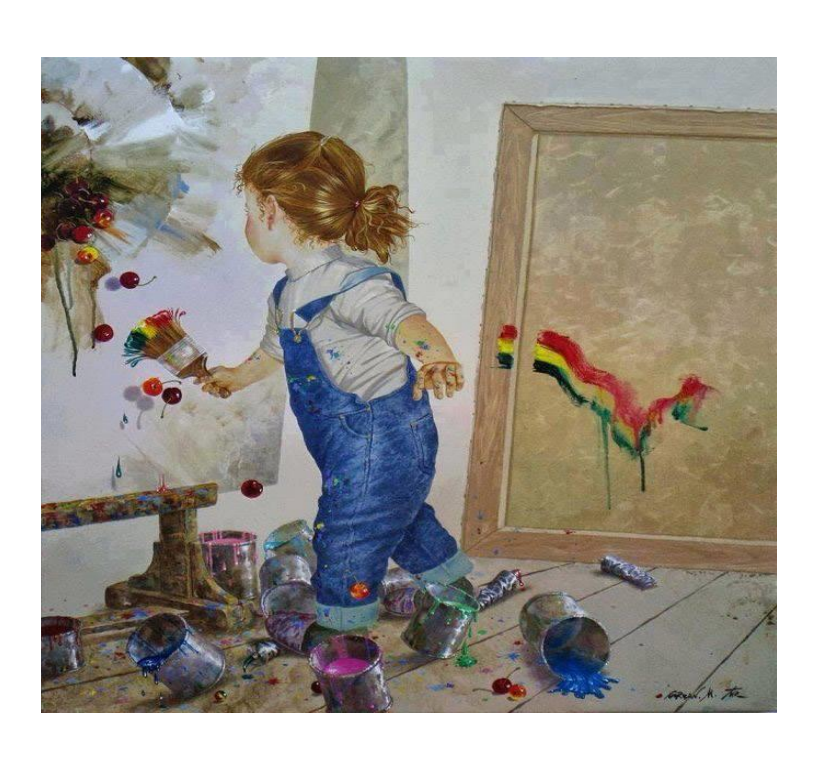
ذكرياتٌ شتّى تسكُن قلبي، طُفولةٌ كم أتمنّى أن تعود بنا ولو حتى حُلماً أثناء نومنا، عبَر بنا قِطار الحياةِ إلى سُبلٍ كثيرة، أمسكتُ اليوم صورنا معاً وبدأت أُدقّق في تفاصيلها، صورٌ صامتةٌ، ولكنّ في باطنها حديثًا لا مُتناهيًا، حَلمنا كثيراً وها نحن ننتظر أن تتلوّن أحلامُنا لنفرح معاً، صديقاتي مهما كانت الحواجز متشعّبةً فإنّها لن تُفرّقنا...



لا بُدّ أن تَرسو سَفينتي يومًا ما على أحد الشواطئ، ولكن ليسَ قبلَ أن تتعثَرَ طويلاً، ويَجتاحها الموج؛ لتتراطَمَ بين الصّخورِ مُقاومةً الكسرَ والخُضوع، كي تصل سالمة.



رسوماتٌ مُتشَعّبةٌ صَنَعتها ريشَتي لتُعبّر عن أحلامٍ استَنزَفت قوايَ العقليّة والجسديّة، صورٌ مُبعثَرةٌ ألمِمُ شتاتَها لأبدأ بتلوينِها مُضفيةً عَليها سِحرًا يُعيد إحياءها، لوحاتٌ أرنو من مَضمونِها لأستخرِجَ مِنها حسّاً ربّما يُرضي ذاتي الموؤودة .



فلْنعزِف ألحانَنا الخاصّة ونُعبِّر عن ذَواتنا بكلّ دفءٍ وهُدوء، ولنجعَل العَالم أمامَنا مُختلفًا بمَضمونِه، ونَدعَ السّنين تتصارعُ أمَامنا كما تبتغي دون أن نكترث، ونضَع أمنياتنا في حقائبَ ونُغادرَ معَها حيثما نشاء، ونصُغ رواياتنا الخاصّة ونشكّل أبطالها ونكتُب قصصهم حسب مفاهيمنا، فلنتراقَص كالفَراشات على ربيعٍ سنَصنعه بأيدينا.



حاوَلَتْ أن تتخلصَ من ضَجرِها فاستلقَت بمحاذاةِ قِطَّتها، لتجولَ في الفضاء الفسيحِ وهي مكانها متصارعةً مع أفكارها دون أن تتفوّه بكلِمةٍ واحدة، تلك عادةٌ اعتادت عليها منذ طفولتها، لتكسِر قيودَ المللِ التي ارتسمَت على ملامحها، وحينَ كَبُرت استمرّت على نفس الوَتيرة لتزداد نُضجًا في مصالحتها مع ذاتها، ففي كل ليلة يَدقّ قلبُها كما تُدقُّ طبولُ الحربِ، حتى يغلب عليها النّعاس ويلتهمها؛ ليكون علاجًا لأيّ توَعُّكٍ أصابَ جسدَها



وداعًا لألمٍ ويأسٍ يهزّ الأبدان، وداعاً لأيّامٍ أثقلت كاهلَنا وحَمّلتنا ما لا نطيق، وداعاً لليلٍ تسكنُهُ الوَحشة، وداعًا لقلبٍ يغمرُه الصَّمت، آنَ لعقارب السّاعة أن تدور لتُطلّ شمسُ الأمل، فأهلاً بربيعٍ يحملُ فِي أحشائِهِ دِفئاً وآمالاً ما لها حدود.



طال الاشتياقُ لأجواءٍ صيفيّةٍ ممزوجةٍ بطابع خريفيّ، حان وقت لَملمة الأوراقِ المُتساقطة وإعادة تَرتيبها من جَديد، آن آوانُ مُعاودةِ إحياء ألوانها الباهتة بأخرى جديدة، جاءت اللحظة لتَستَكينَ أنفاسُنا بهواءٍ مُنعِشٍ بعد فتورٍ حارٍّ ألمَّ بها .



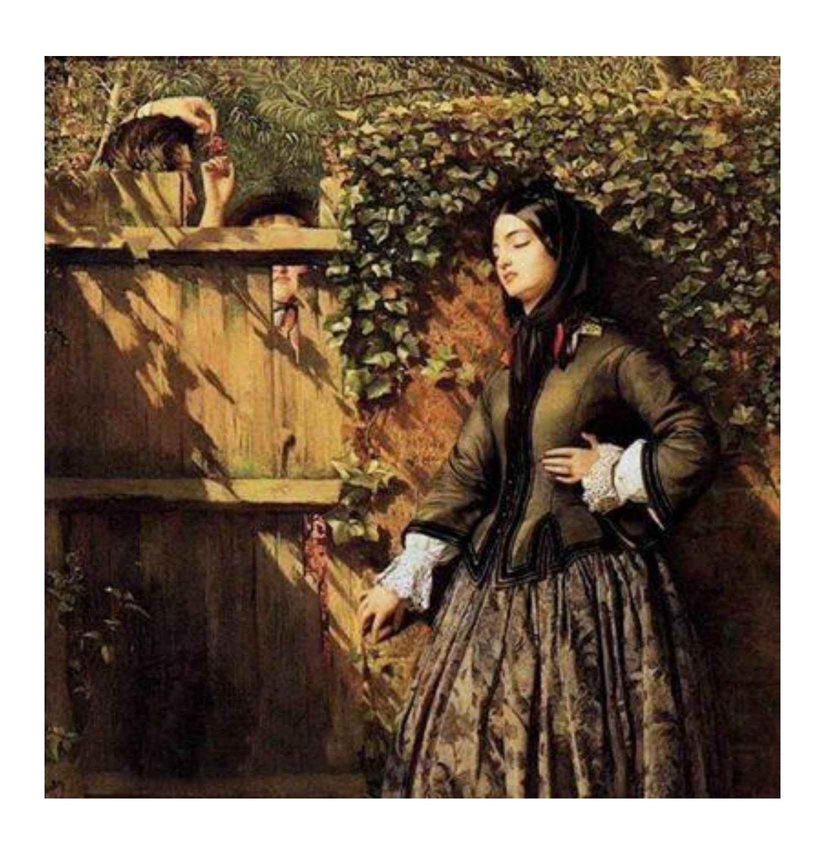
انظُري إلى ذاك المَدى البَعيد، تعالَي مَعي لنُحلِّقَ بعالَمِنا حتّى نصل إليه، لا تَجعلي اليأسَ يُبدّلُ ملامحَك؛ فلا بدّ لرِحلتنا أن تكتَملَ يومًا... تجنّبي العبثَ بأفكاري، ودَعي الأمورَ تسيرُ على مِنوالها، أنصتي لأنغام الشّمس علّها تُسلّيك طوالَ دربِنا، وأصغِ جيّدًا لهمساتِ روحي لتَعرفي أنّ نهاية روايتنا ستكون مُختلفةً.



لا تتعجّلي يا صغيرتي كي تكبري فأمامك طريقٌ شاق، أبصري الورود التي حولك ولا تتسرّعي كي تُقابلي الأشواكَ التي ستجعلُ دمَك يُراق، أقبلي للحياةِ ودعي أيّامك تسير بخطىً ثابتةً وابتعدي عن المتاهات بين الزّقاق، لَملِمي قواكِ وتهيّئي لِما تُجهّزه الأيّام لك من بَعثرةٍ للأوراق، اكسبي مَن حَولَكِ قبل أن تُدركي مَعنى الفُراق لِمن كان قلبك يَشتاق، ابقَيْ كما عهِدْتُكِ أنت وذاتك على وِفاق، وصيّتي لك بألّا تَتهاوني فأنت والحياة ستظلّان حتى المماتِ داخل حلبة سِباق.



قادَها إلى هُنا حَنينُها، لا تَلُمها فليستْ هي من اختارَت قدرَها بل هو من اختارَها، نثَرْتَ أوراقَها، وأيقظتَ هواها، وخيَّبتَ آمالها، وأذبَلتَ صوتَها، وملأتَ الأرجاءَ بصوتِ بكائِها، ومع هذا أنت تُكابر!! فقلبُكَ معلّقٌ بقلبها، وهي تَعلمُ أنّك تجولُ هنا وهناك بحثاً عمّا يَخصُّها، ولِتلمَحَ حتَّى لو خَيالَها



سَرَى الشّتاءُ في عروقِ الليل ليَحلّ عَليّ ضيفاً؛ علَّه يُنعشُ حَماسي مرّةً أخرى ويَجرفَ ذَاكرَتي معهُ.



جرمها الكتابة!!

تَرعرَعت وفي يَدِها القلم، تسكُن الّلهفةُ قلبَها حينَ تبدأ بسردِ ذِكرياتِها على الورقة، نمَت في رحمِ الحياةِ حتّى نَضَجت، باتَت حبيسة ذاتِها، تكتُب بلا قُيود، شريدةً في الليل، صامتةً في النهار، يلتحمُ صوتُ ضحكِها ببكائِها، ترمي أشلاءَ يومِها في مَحرقةِ الكلمات، ذنبُها الكتابة؛ فهي حسب اتّهامِهم تتهرّب من الواقع بخَيالاتها المُزيّفة، دون أن يُدركوا بأنّ ما تَخطّهُ هو المواجهةُ بحدّ ذاتها... عجبًا على زمانٍ أصبحت فيه الكتابةُ جرماً!!



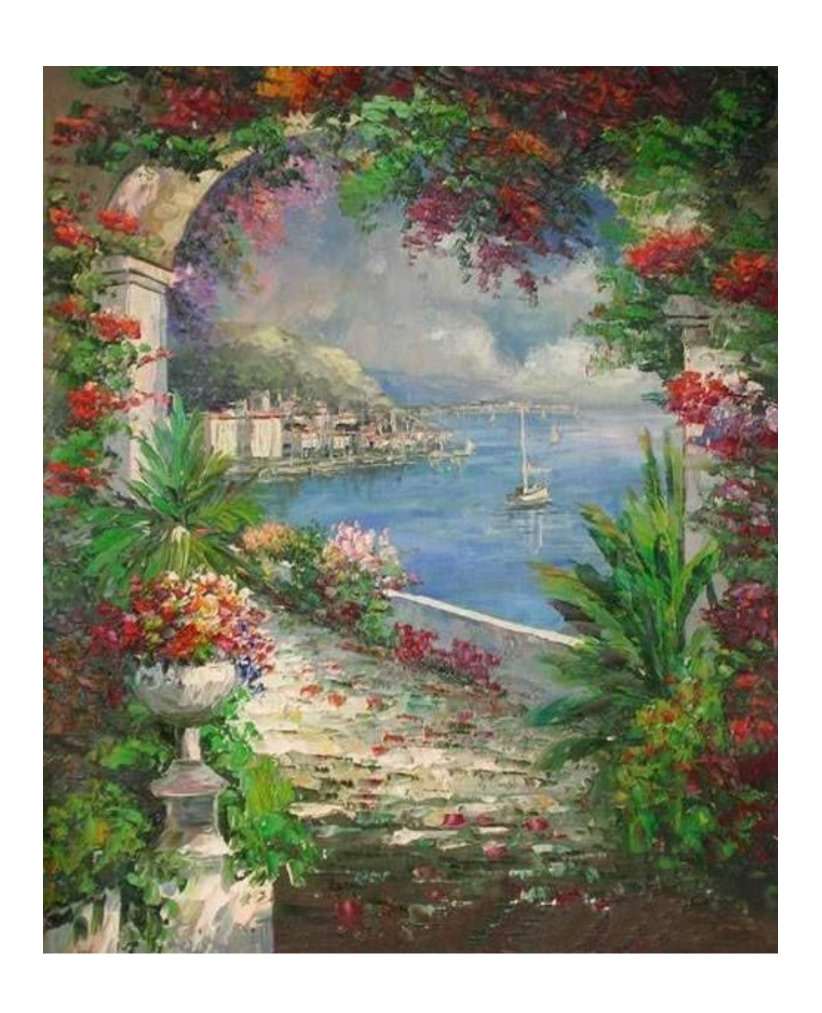
أطلِقي همَساتكِ الدّفينة، دعيها تتحدّثُ عنكِ، وتَغنّيْ بألحانك لتطوي هواجِسك؛ فبعدَ ليلِ احتضارٍ طويل حان الوقتُ لأن يلفظَ قلبُك أنفاسه، ولأن تتّقد جمرةُ حبّك.



امسَحي دمعَتكِ قبلَ أن تذبلَ عيناك، وتأمّلي من حَولكِ لتري أنك لست بتعيسةٍ، أحكِمي إقفالَ باب قلبك، ولا تَسمحي للغُرباء بأن يتَسلّلوا إليه، ولا تَرتجِفي خوفًا مثل عُصفورٍ لم يتعلّم الطيرانَ بعد، انفضي عن كاهِلَكِ عناءَ كلّ السنوات، وأطلِقي سهامَكِ فحتّى لو كانت مُبعثرةً لا بدّ أن تُصيبَ الهدف.



فِي مُعجَمي النّهاية أهمّ من البِداية!! لذلك لن أخلَعَ كِسائِيَ القديم، ولن أتحرّر من رِواية عامي هذا، ولن أخُطّ قائمَةَ أمنياتي للعام القادم، قبل أن أنهي اللمساتِ الأخيرة من وداعٍ يليق بِلوحتي الغنيّةُ بالحياة.



لم تَبق داخلها إلّا بقايا كَلماتٍ باتَت تَختلجُ صدرَها، فهي ملّت الكتابةَ على الورق الجاف الّذي ما عاد يَروي ظمأها، فعَزَمت على أن تَخطّ حروفَها على البحرِ مُستخدِمةً الرّيشة نفسها الّتي كانت يوماً ما كساءً لطائرٍ تُعينه على الحياة، فلم يُخيّب ظنّها، واستمع لها، وعاهدها أن يَحفظ كلماتها في جوفه، ولكن غَدَرت بها أمواجُه، وجَرَفت حروفها معها، فغاصَت في أعماقِه... واندثرت!!



في كلّ عام نكرّر طقوسنا التي اعتدنا عليها، ونبدأ بوضع قائمة أمنياتنا المرجوّة، ونحن نطفئ الشّموع التي لم نكن نبصر بها!! ونتأرجح على أجنحة الأمل ونَّنهي ليلتنا بعبارة "نتمنّى أن يكون عامنا القادم جميلًا"... يا لهذه السذاجة!! ما دامت أرواحُنا مَسكونةً بالاستبداد لن يَصنع تَبدّل الأرقام شيئاً!!



باغت الثلج الأرضَ بزيارةٍ ليخمد أجيجَها المُتّقد، كم هي فرحة؟ وكأنّها عروسٌ تُزفّ إلى عريسها في ظلال الليل ليمتزج وجدانه بفؤادها، ولكن كما هي العادة أرجوحة الزمان تمقُت تآلف الأحبّة؛ فها هو الثلج يتحضّر لأن يرحل، وها هي الأرض في الرّمق الأخير تمارس طقوس الوداع.



كان شتاؤها هذا العامُ ربيعاً حين التقت به صدفةً، لم تكن تَعرفُ أنّ القدر سيُغيّرُ من اتّجاهه يومًا، باغتها بعشقه الذي لم تكن مستعدّةً له، راقَصَت دمعتها ابتسامَتها حين رأته يدنو منها، كانت الحروف ساذجةً معها خلال لقائِها الأوّل به؛ فهي لم تنطِق حرفًا واحدًا مع أنّ في أعماقها رواياتٍ تعبّر عن مشاعرها الشجيّة، ولكنّ عينيها تعزفان حبًّا لم تستطيعا إخفاءه، ففَهِم رسالتها، وتسلّلت لغتها الصامتة إلى جوفِ قلبِهِ فابتَسَمَ ابتسامةً خفيّةً، وسارَ مَعَها بخجلٍ ليحمِلا ربيعهما لَعلّهُ يسكب جمالَه على العاشقين.



كما هي العادة، يختلس إليها النّظرَ من بَعيدٍ ويُحدّق بعينيها مُتأمّلاً ما تَحملانِه من حياة، فنظرتُه تلامُس قلبها وتوقظ روحَها النائمة، ولكنّها كاتبةٌ عاشقةٌ لا تَكفيها النظرات، فاقترب منها ليُحدّثها بما تَهواه، وليُغدِقَ عليها فيضَ حبّه، ونَسيمَ عشقه العليل، لعلّ ظمأه يرتوي بمُسامرتها، ولكن دون جدوى، فعلى الرغم من غزارة اللغة إلّا أنّها كانت شَحيحةً معه وتخلّت عنهُ وهو بأمسّ الحاجةِ إليها... يبدو أنّ العاشقين بحاجةٍ إلى حروفٍ جَديدة تختلف عن تلك التي اعتدنا على النُّطق والكتابة بها!!



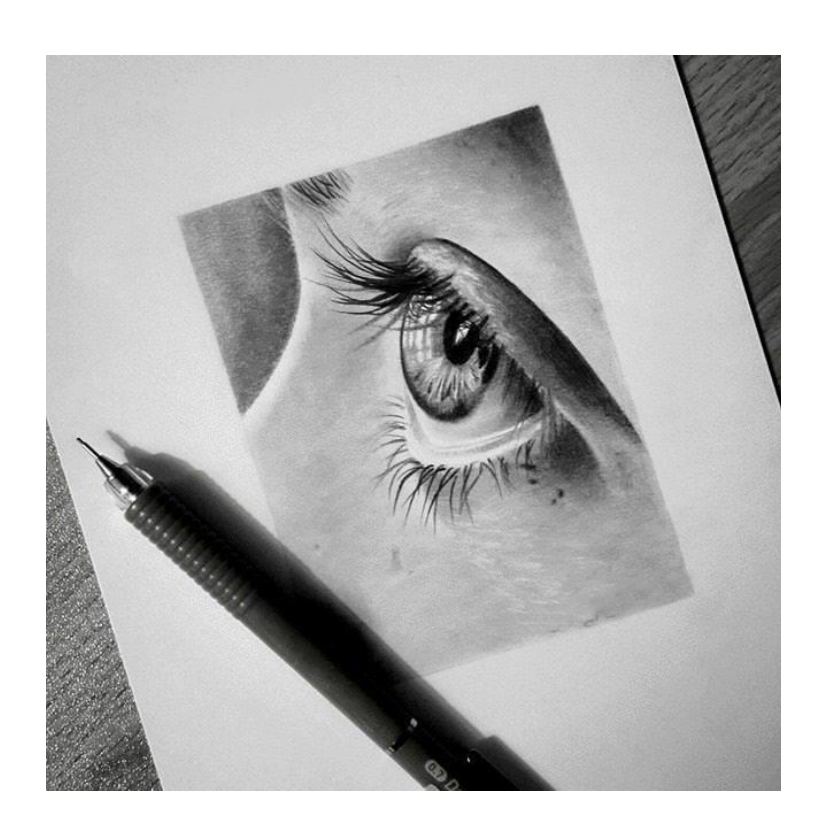
فِي أرجاءِ الطّبيعَةِ تَرَى نفسَك، وتَستعيدُ ذاتَك، تُعانق روحك جمالَ ألوانها، وفي ثناياها تغرقُ بأحلامِكَ، هي دربُك المعنويّ نحو الاستمراريّة، فحينَ تتنفّسُ الطبيعةَ تتفتّح أمامَك الحياة.



حينَ تكونُ طَريقُكَ غيرَ واضحةِ المَعالمِ، ومُتّشحةً بالسواد، وتشعُرُ بأنّك تُهتَ في أحزانِ الوجود، وبأنّ حُبّك مُبعثَرٌ، أمسِك فرشاتك، وحَدّد مَعالمِ حياتِك بذاتك، فإن لم تبَحث عَنها وتتَشبّث بها، لن يُسيّرك إليها أحد.



عَليكَ فِي بعضِ الأحيانِ أن تَغرقَ فِي صمتِكَ وتَدَعَ بريقَ عينيكَ هو من يومِئ بدَواخِل روحك، فيأتي دورُ الآخرِ ليعومَ فِي بحرِك، ويَصلَ إلى أعماقِهِ باحثاً عنك، فرُبّما نَظرةٌ منكَ توحي من خلالِها قصدَكَ ومرادكَ أكثر من عباراتٍ مُنمّقةٍ لطالما تحدّثتَ بها.



حزينٌ هو البحر، يَحتضنُ سفُنًا وأشخاصًا يلقون بحُمولتِهم على أكتافِهِ دون الاكتراث بما يَشعر، هو مُشتعِلٌ في داخله مع أنّ أنينَهُ لا يَكادُ يُسمع، ولكنّه بَغتةً ودون سابق إنذار يُعبّر عن مكنوناته فيُرسلُ أمواجه الغاضبة لتُدمّر كلّ ما يُحيط به.



تَجرّع الفَرحَ وأسكنهُ داخلَ وجدانك، وانشره كعبقِ الياسَمين لمَن هم حولَك، اصنَع عيدَك بنفسِك، وادنُ إلى طريقِ سعادتكِ دون أن تُعير أيّ اهتِمامٍ لِما يُحيط بكَ من بؤسٍ ودمار.



حين يُحيطُ بكَ ضجيجُ العالم ويُحاولُ التشبّثَ بأعماقك، ليس عليك إلّا الفَرار منه حتّى لو اضطررتَ أن تَكونَ سراباً مُتنقّلًا في أرجاءِ الطبيعة، فليس هناكَ أجملُ من ترانيم أمواجٍ شَجيّةٍ تُطرب أذنيك، وقمرٍ يَهيم بكَ استيقَظَ من غفوتِه المَسائيّة ليَحتضنَ خَيالك، ويُسيّرهُ نحو واقعٍ رسَمته يداك.



هي ليست مجرّد وردةٍ عاريةٍ تُشاهدها في بستان، فرائحتُها العطرة تحيي ذكرى كانت قد دُفنت مع روحك، ورقّتها تُشعل حبًّا كانت قد أطفأته الأيام، ورحيقُها لغةُ عشقٍ تخجَل أمامَها بلاغةُ الشعراء.



ها قَد حَلّ المَساء، وجَلَب مَعه عَتمةً باغَتَت السّماء، فبعدَ أن وَدّعتها الشمسُ عسى أن تُلاقيها في يومٍ جديد لَملَمت شتات قلبها ظنّاً منها أنّ النّهايةَ قد حانت، ولم تَكن تُدرك أنّ القمر الهائمَ بها يرنو إليها من بعيد...

اقترب منها ليُواسيَها، فاحتضَنها، ومنحَها دفئًا لم تَمنحهُ لها الشّمس يومًا، فأيقَنَت أنّها لم تُبصر النّورَ والبَهجةَ إلّا في عتمةِ الظلام.



حينَ تقفُ أمامَ عتباتِ البحر تتَأمّلُ غفوةَ الغروب، يجتاحكَ نَسيمٌ يُداعبُ وجنَتيكَ ويُذيبُك سحرًا، ويَحملُك معهُ إلى الضفة الأخرى مُتأرجِحاً بين الوجودِ واللاوجود.

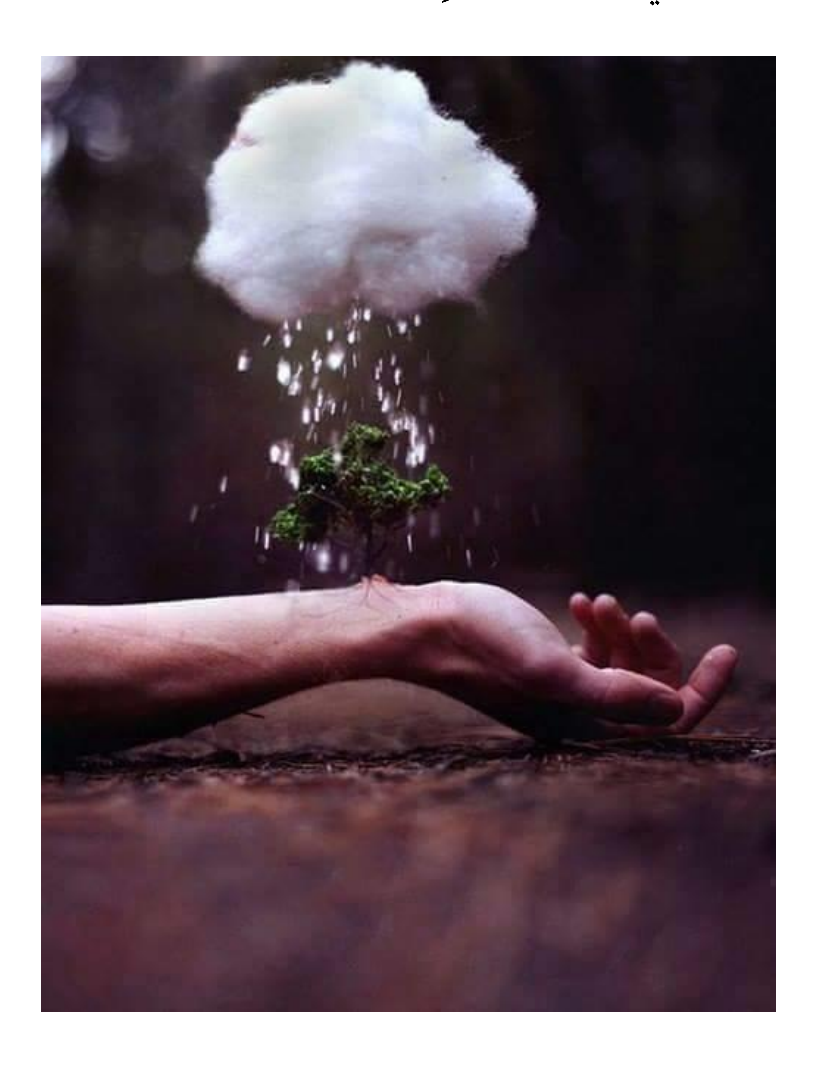


مَساء كل ليلةٍ تُلقي جَسدَك المُنهَك على الوسادة استعداداً للنوم، فتدورُ في مُخيّلتكَ الكثير من الأفكار التي تَعجز عن كبح جِماحها، وتثورُ عليكَ جميعُ حواسك وأعضائك التي تأبى أن تَستكينَ وتهدأ، وتُلحّ عليك بطلباتها ورغباتها اللامتناهية...

بعدَ صراعكَ مَعها توهِمك بأنّها ستَدعكَ تَغرقُ في نومِك بهُدوء، ولَكنّها سُرعانَ ما تَطرقُ أبواب أحلامِك زائرةً لكَ من غيرِ استذان.



حينَ تنبلجُ غيمةُ الحياة، وتهمِسُ لكَ بقطَراتها كي تُحيي نبضَ شرايينك، عاوِنها باستجابتِك لها لعلّها تُبرِئ سقَمَك الذي عجزْتَ مرارًا عن عِلاجه.



فِي كثيرٍ من الأحيان عَليكَ التحرّرُ من ذاتِكَ والولوجُ داخلَ لوحتِكَ المُبَعثرة لتُحدّدَ تَفاصيلَك الّتي حاولتَ مراراً رَسمها، فلن تَصلَ إلى النّهايةِ المَنشودةِ إن لم تَستجِب لمُناجاةِ خيالِكَ وتخُض التجربةَ بنفسِكَ دون تردُّد.



عَبّر عَن مَشاعركَ بطُرقٍ خلّاقةٍ وخارجَةٍ عن الإطار الذي طالما كُنتَ مُعتادًا عَليه، ودَع أهازيجَ قلبِكَ تترنّمُ بإيقاعاتِها، فإن لم تَعتِق ذاتَك من عبوديّتها لن تُغدِقَ عليك الحُبّ لتَنعم بالحياة.



عندَما تُداعِبُ قطراتُ المَطر حنينَكَ الهائم، وتَهبُّ الرّياحُ على فؤادِكَ لتُشعلَه فلا يستكين، ويُسامر الدُّجى قلبَكَ فيخفِق عشقًا وشغَفًا، انصهِر بالحياةِ، ودع تراتيلَ شوقِك تُلوّحُ في الأفقِ لترنو إلى طيفِ الحبّ حتّى تتوهَ فيه.



كُن منقِذًا لذاتِك وأحلامِك، ولا تقِف أمامَها حائرًا ومُرتابًا؛ فإن لم تَمدّ لها يَدَ العونِ وتُنجدها لتوصلها إلى بَرّ الأمان ستَتشبّثُ بك وتُغرِقك معها.



تتعانقُ أجسادُ الأحبّةِ عند اللقاء تَعبيراً عن الاشتِياق، ولكن قد تَقفُ أحيانًا المسافات عائِقًا أمامَهم، فيشتَدّ حنينُهم، وتَشتعلُ لوعتهم، وتَستنكِر أفئِدتُهم البُعد؛ فيَستعينون بأرواحِهم كي تتناغَمَ وتتعانق بلهفةٍ لتُغذّي أجسادهم وتُطفئ لهيبها.



ليس غيره ذاكَ الصَوت الّذي يَصدَحُ داخلَكَ مع سكونِ الليل فيؤرجِحُك يمينًا وشمالًا، ويوقِظُك لتَستحضِرَ ذاتَك وحواسَك تأهُّباً للإنصاتِ له، فيَهوي بكَ إلى مَتاهةٍ لو كُنتَ تَدري ما تُخبّئهُ لك ما أصغيتَ له يوماً.



ناجِ الطبيعةَ وبُح لها بمكنوناتك، واخلَع رداءَ أفكارِك البالي مُلتحفًا بدفئِها، وأبحر في جوفها للإنصات لألحانها ومُعانقة ذاتك؛ فتلك اللحظة هي التي ستوقِظ فيها رغَباتِك مُعلنًا عن نهايةِ هواجسِك المُستبدّة واستنشاقِك للحياة.



أمسِك يدي وسِر معي لنصلَ إلى دربنا الذي رَسمناهُ معًا، لا تَلتفِت إلى الوراءِ ودَع الزّمن يَقتفي آثارنا ويَمحوها بلا تَردُّد، استَشعِر معي جَمالَ الطّبيعةِ وأطرِب أذنك بسماع تغريدة الصّباح؛ فالخَريفُ بدّلَ مسارَهُ والرَبيعُ آتٍ لا مَحالة.



هيَ تلكَ النّافذةُ التي تُريكَ العالَمَ من مَنظورٍ مُختلف، تَحتوي مشاعرَك المُتناقضة وتَنثرها في أرجاءِ السماء، وتُصغي لكلماتِكَ المُبَعثَرَة لتَنتزعَ منها الشقاء والأسى، وَحدَها من تحمِلُك لتُبحِر معَها وتَغرَقَ في أعماقِ الحياة.



لا تَتردّد كثيرًا في البحثِ عن بوّابتكَ لتعبُر الحياة؛ فشوقُكَ الساكن في ثنايا قلبك كالرّماد لن يُبدّدهُ إلا نَسيمُ العشق، وصمتُ حواسِك المُلتحمُ بضجيجِ عقلِكَ لن يَنطقَ إلّا إن أعتقتَهُ من عبوديّة كيانك.



امنحْ نفسَكَ ولَوْ لحظةً من الصّفاء الذهني، لعلّك تُبصر النّور في أوج العتمة، وتُحيي وجْدانَكَ في غياهبِ الظّلمة؛ فجلوسك مع ذاتِكَ غذاءٌ لروحِك، وبلسمٌ شافٍ لجَسدِك.



لا تفصِلكَ عن العالَم الآخر سِوى بوّابة أقفَلَتها حواسُك بمحضِ إرادة قلبِك، ولكنّكَ لو كنتَ تعلَم أنّك ستهلكُ في ظلامٍ قاتمٍ تشتاقُ فيه لانبلاجِ فجرِ يومٍ جديد لما أضَعتَ مفاتيحها يَوماً!!



على ضوءِ القمر نطقَ صمتُك بما يُخفي، والتَحمَ شوقُك بثنايا حَنيني...

على ضوءِ القمر اشتَعلَ هواكَ في جسدي، ومزّق حُبّك رحاب قلبي...

على ضوء القَمَر جلستُ مُصغيةً لترانيمِ عشقك، مُنتظرةً شروق شمسِ حبّك...

على ضوء القمر أقبلتَ إليّ بِعبق عطرِك ليُضيء حبّك عتمة ليلي وليلِك...



نظرةٌ ثاقبةٌ لأعماقِ نفسِك تُريكَ العالَمَ من مَنظورٍ مُختلف؛ فحينَ تقفُ أمامَ صراعٍ داخليّ عَليكَ أن تكون الحَكَمَ فيه، تصمِتُ جوارحُك وتتشتّت أحاسيسُك؛ فهل يَتوجّب عليكَ أن تُصغي لحديثِ عقلِك أم لوَساوس قلبِك؟! حيرةٌ تَنتابُكَ عند اتّخاذك لقرارٍ قد يكون طوقُك الوحيدُ للنجاة؛ فإمّا أن تكونَ حَكَماً عادلاً وتعتق جسدَك، وإمّا أن تتشبّث بقيدِك المؤبّد حدّ الزوال.



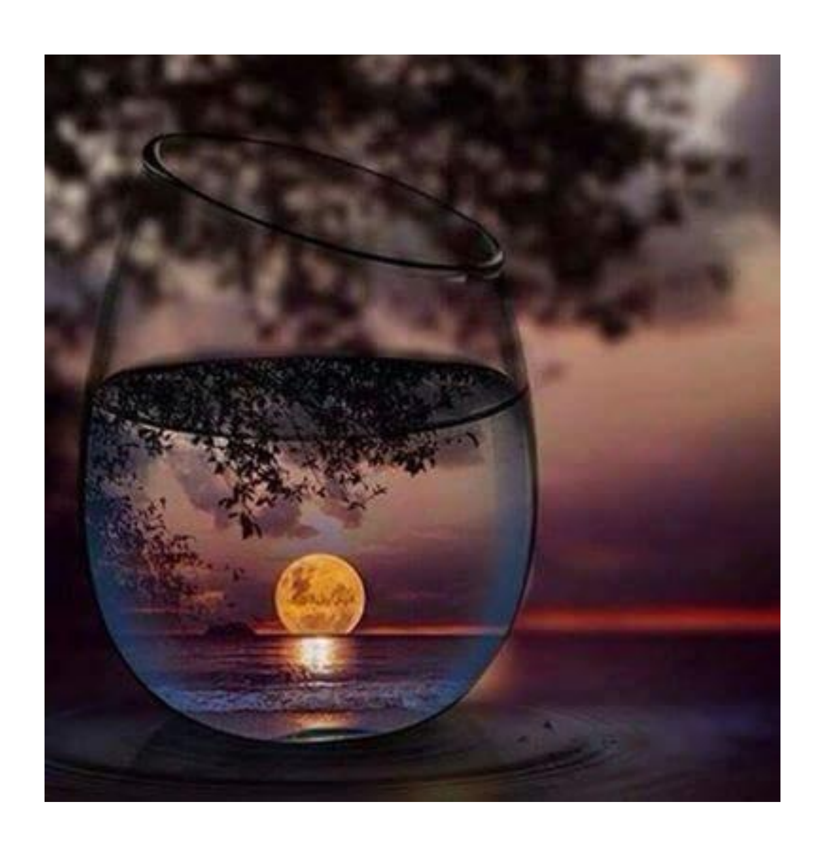
ها قد حلّ المَساء، وحانَ موعِدُ لقائِك الاعتياديّ الذي تنتظرُهُ بشغفٍ كبير، لقاء تتسَامر فيه أنتَ والقمر في عبابِ الكَون، تُطلِقُ لهُ جماح رَغباتِك الإنسانيّة حتى تبهَتَ أنفاسك، وتَرنو إلى ضوئِه بين ثنايا العتمةِ باستِحياء ليَحملكَ معهُ إلى عنانِ السماء، تتنفّس الصعداءَ وأنتَ بقُربه ويخفِق قلبُك اضطِراباً، ولكِن سُرعانَ ما يَستكين جَسدُك ويغطّ في نومِه العَميق.



حينَ تنْبضُ دقّاتُ قلبِك بما تَهوى، وتَطرَبُ أذنُكَ بسَماعِ نغمِ المساء تَفيضُ مِن روحِكَ ينابيعٌ تروي جفافَ جسدِك وتُزهِرهُ ربيعًا.



القمرُ سفيرٌ للسّماء يَبوحُ لَنا بما تُخفيهِ داخِلَ ظلامِهَا الدّامِس، ويَتلو لَنا جَمالَها المختبِئ باستحياءٍ خلفَ الغيوم.



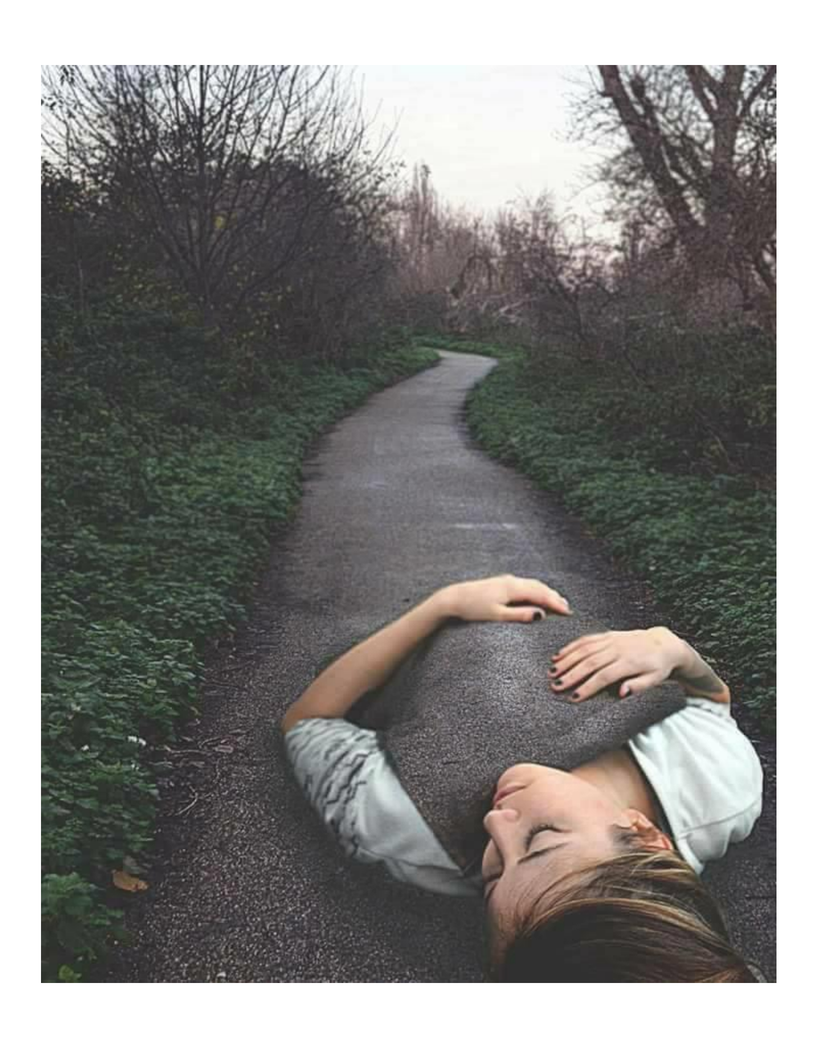
حين يستفيقُ قلبُكَ على وقْعِ لحنٍ تَسلّل إلى أُذُنك خِلسةً يحومُ برفقةِ جَسدِك في ثَنايا السّماءِ بحثاً عن كينونَتهِ وحُريّتِه الضَائعة خلفَ الغيوم.



على عَتبةِ الصّباح نَطوِي صفحةً لامَسَت نفسنا الرّاقدة، ونتشبّثُ بالشّمس لتُسيّرنا نَحوَ النّور



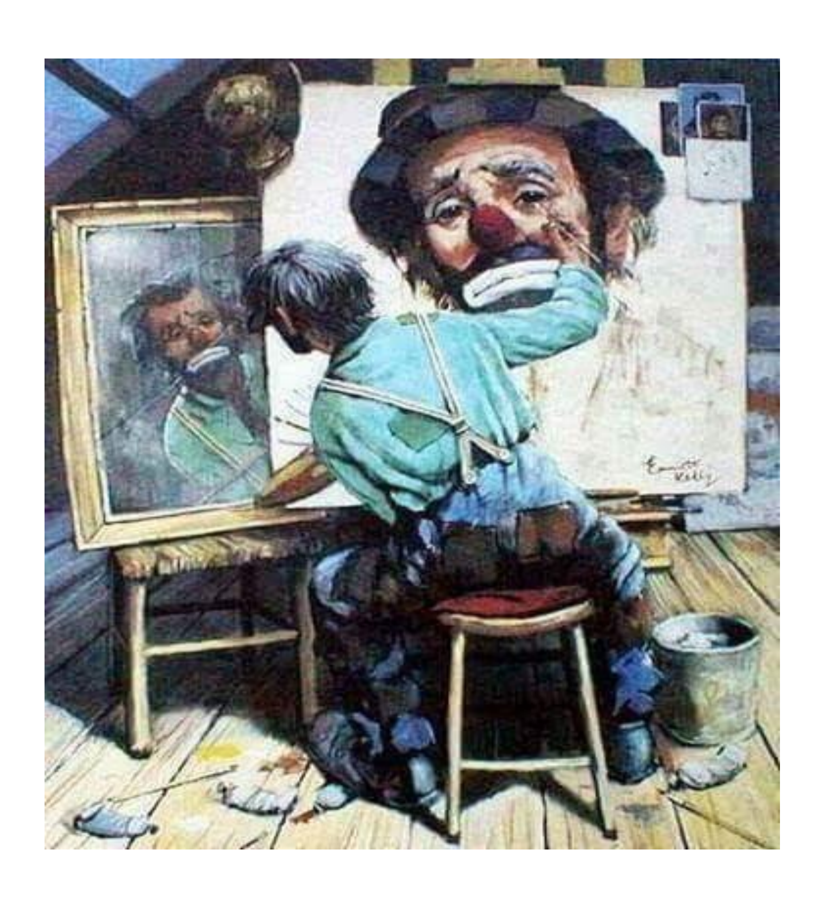
ارقُد بسَلامٍ فِي أحضانِ الطّبيعةِ والتَحِف بدفئِها؛ فلَيسَ غَيرها من يُصغِي لهَديرِ صمتِك ويُبعِدُ عنكَ غُربةَ كينونَتِك.



تقسو الشّمسُ على السّماءِ حينَ تَتركها وَحيدةً في عتمَةِ الليل تُناجي من يُؤنِس وحدَتَها، ولكنّ عَطْفَ القمر عليها يُبدّد حُزنها ويُجلي وخْزَ فؤادِها؛ فحين يُلوّحُ لَها من بَعيدٍ بكِلتا يَديهِ وَينحَني أَمامَها كَلهفَةِ عاشِقٍ مُحدّثاً صَمتها تغفو بَين أحضانِهِ استِعْداداً لفَجرٍ جَديد.



حينَ تُجبرُ تعابيرَ وجهِك أن ترسُمَ ملامِح لا تُشبهُك ولا تُعبّر عن دواخِل قلبِك يَتوارَى أساكَ باستِحياءٍ خلفَ زيفِ ابتسامتِك.



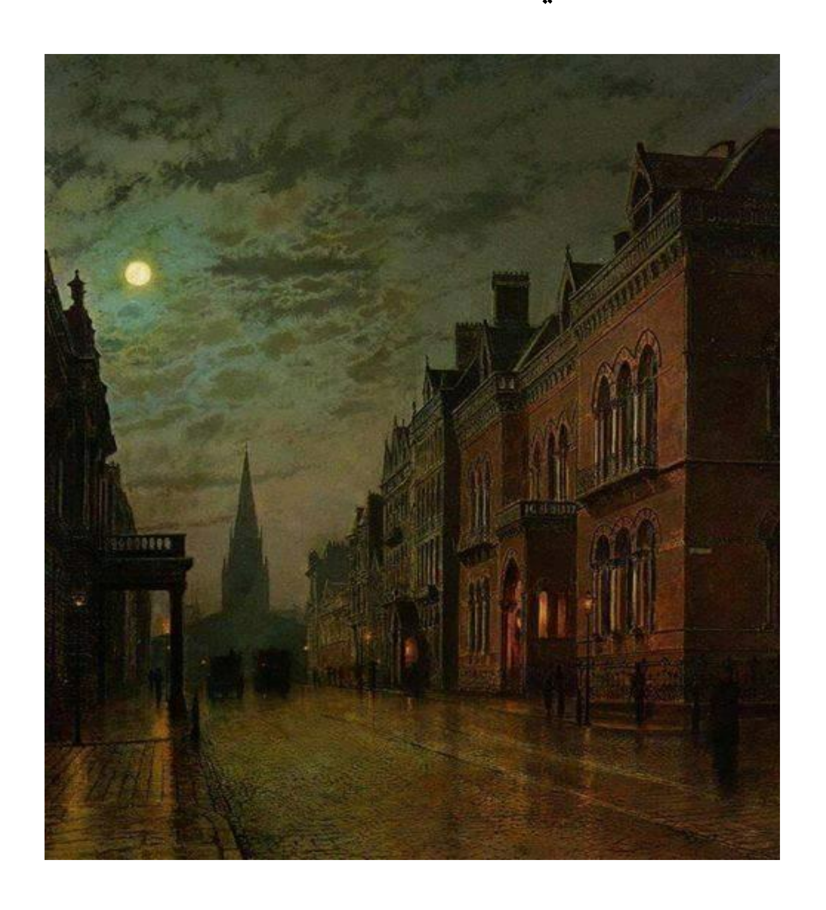
بَدِّد كُلّ العَوائقِ الّتي تَعترضُ طريقَكَ، ومَزّق الجُدرانَ التي بنتها سَواعدُكَ بمَحضِ إرادَتها فأثقلت كاهلك، وتحرّر من وحشة الليل لترى جمال النّور، فلا تكن السجّان والسَجين فتَحبسَ فِكرَكَ وقلبَك مُتناسيًا رَغبتكَ.



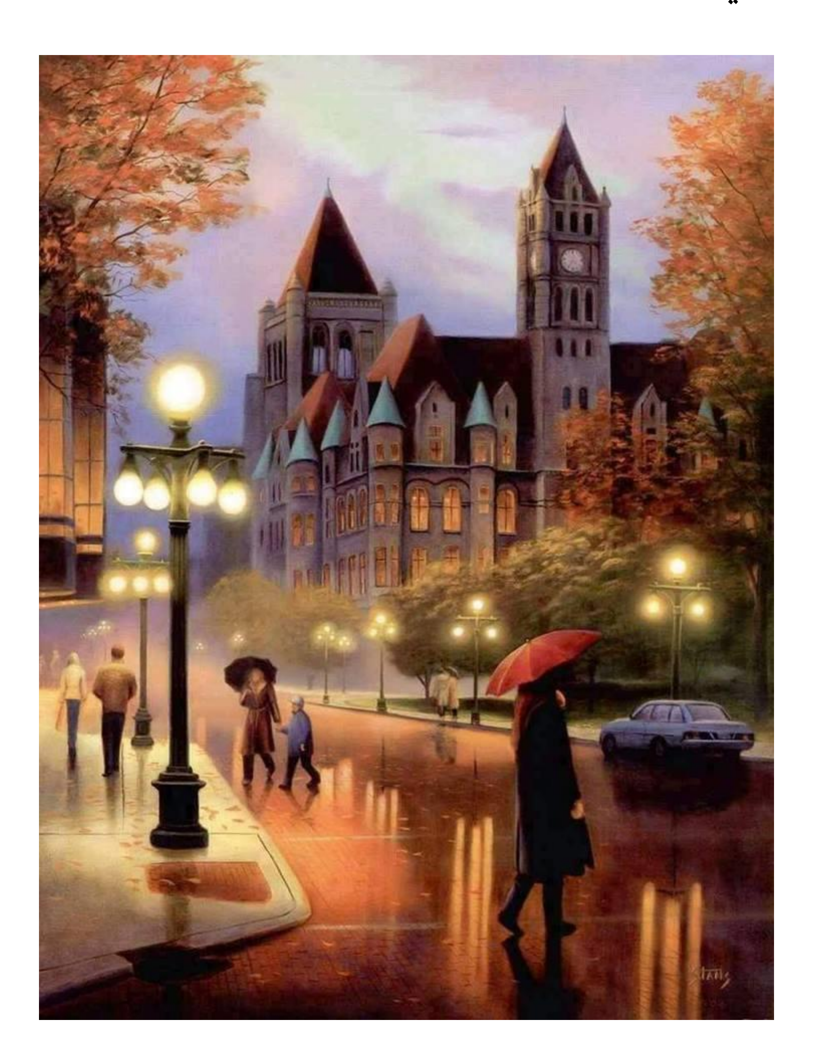
قبلَ بزوغِ فَجرِ عامٍ جَديد، تَوقّف القِطارُ في مَحطّتهِ المُعتادة متأهّبًا للانطلاق لرحلةٍ مُختلفةٍ، تَحملُ في جُعبَتِها أبطالاً وحَكايا تَنقلنا إلى عَوالمَ يمتزج فيها حنينُ الماضي ليُعانق شَغَف الحاضر لوِلادَة مستقبلٍ نيّر.



تَقفُ في وسطِ تِلكَ المدينةِ مُناديًا هل مِن مُلبٍّ؟ فَتَرَدّ على دَوِيٍّ صَوتِكَ السماءُ مَانحةً إيّاكَ عطاياهاَ لعلّ روحَكَ تُشفى وتُغرّد في ظلمة الليل!!



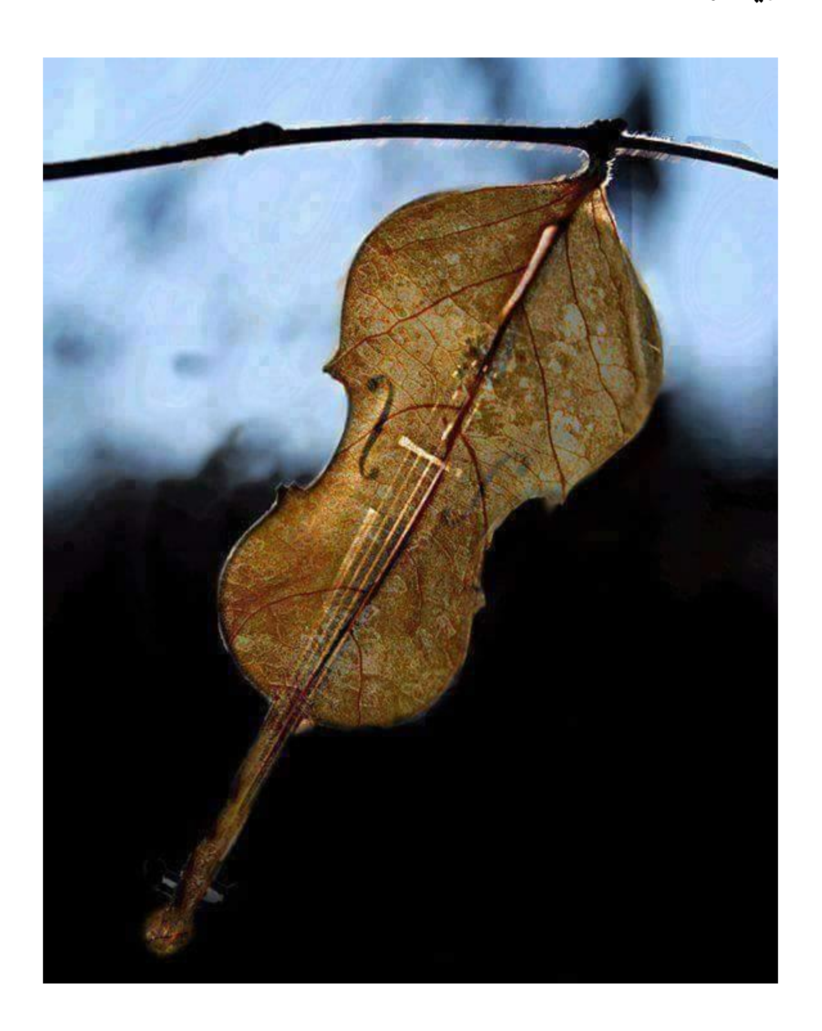
تتجوّلُ بين أزقّةِ المَدينةِ كعابر سَبيلٍ، وتتبَعُ السُّحبَ المُختبِئةَ بين أحضانِ السّماءِ بَحثاً عن أناكَ المُلتحِمةِ بِقطرات أمطارها، فتُصادفك هياكِلُ العشق في طريقها وتُعانقك واهِبةً إيّاكَ دفئَها حتّى يتلاشى البرد الذي يَسكُنك.



إنّهُم يَذهبونَ بلا عَودة ليُحافِظوا على ما تَبقّى مِن أجْسادِهِم، ولَكنّهم يُخَلّفون وَراءَهُم أرْواحًا تُحيي مَراسيمَ الارتِحال!!



مِن حقّ الطبيعةِ أن تصدَحَ بأعلَى صوتِها مُطلِقَةً مَعزوفَتَها على أوتارِ الشّتاء ليُنصِتَ لَها قلبُ الرّبيعِ ويَمنحُها دفئهُ.



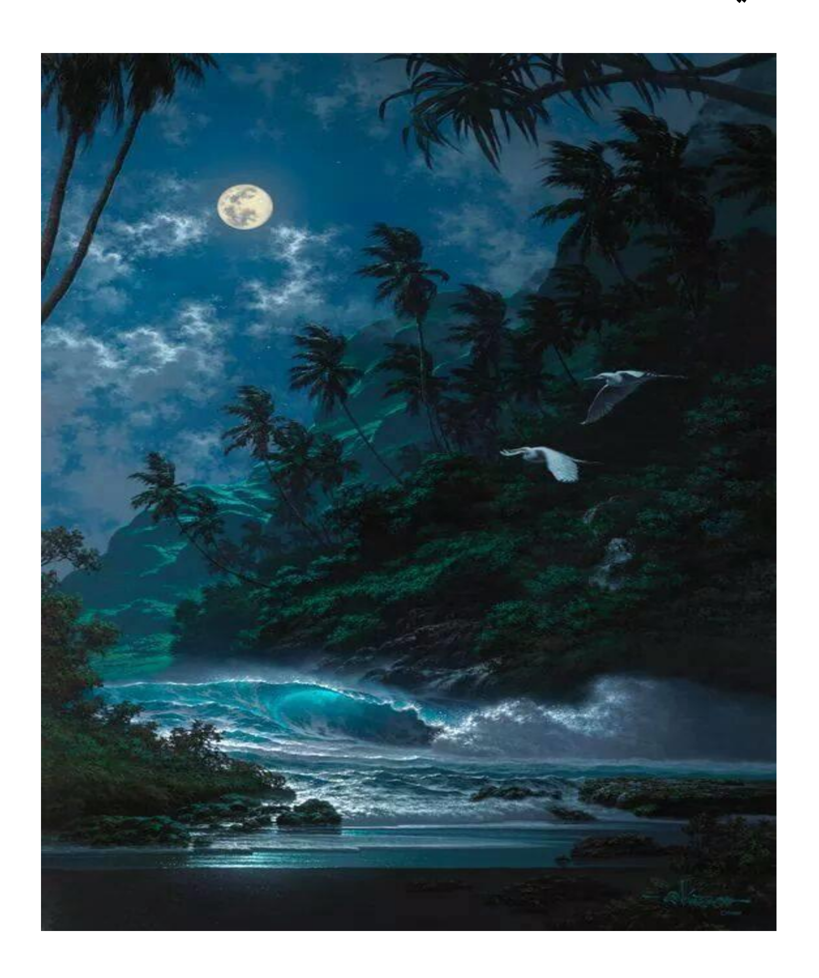
تَرتعِشُ حواسُكَ لوَهلةٍ؛ فتلوذُ فرارًا باحِثةً عن مَلاذِها داخِلَ لوحَةٍ لتحتَويها وتَفيضَ عَليها مِن عَطايا حُبّها لعلّها تَرتوي!!



على إيقاعِ دقّاتِ قلبِكَ المُتأرجِحةِ خَلفَ أجنِحةِ الهُيام تَقفُ خِلسةً مقتفيًا آثار ألحانِها، ومُحاكيًا وَجدَها المَمزوج بشَغَفِ الاشتياق؛ لتَمنحها حُبًّا لا يَنضب.



تَسترقُ الغيومُ لحظاتٍ تستلقي فيها بَينَ أحضانِ السّماء لتُشاركُها بما يَعتري قلبها؛ فتَتهافتُ على رأسِها الأفكارُ وتَتزاحَمُ بينَ ثَناياها الكَلمات التي تَرتعشُ بَرداً وعتمة، حتّى يتسلّل إليها النَّعاسُ فتَهذي بِما لا تَعي استعدادًا لمُعانقة روح النهار.



أيّ إلهامٍ ذاكَ الّذي زارَكَ ومنَحكَ من أفكارِهِ لحظَة كِتابتكَ عنه؛ لا بُدّ أنّهُ القَدر هيّأ لكَ ألواحًا تتّسع لِما يُراودُ صوتَك المُمتد، ومَنحكَ فُرصةً لتتَمرّد على الليلِ مُحاكيًا أنفاسَكَ المُتّكِئة على نِزاعِ الصّمت.



حانَ موعدُ الصّباحِ لتَفيضَ عَليكَ شمس الحياة بجودها، فها هي تَطرقُ أبوابَكَ الموصَدة لتهتَدي إليها مُتهيّئًا لمُعانقتها... أحسن استقبالَها، وأخضِع نجواكَ ليسير خلفَ أسرابِ المُنى.



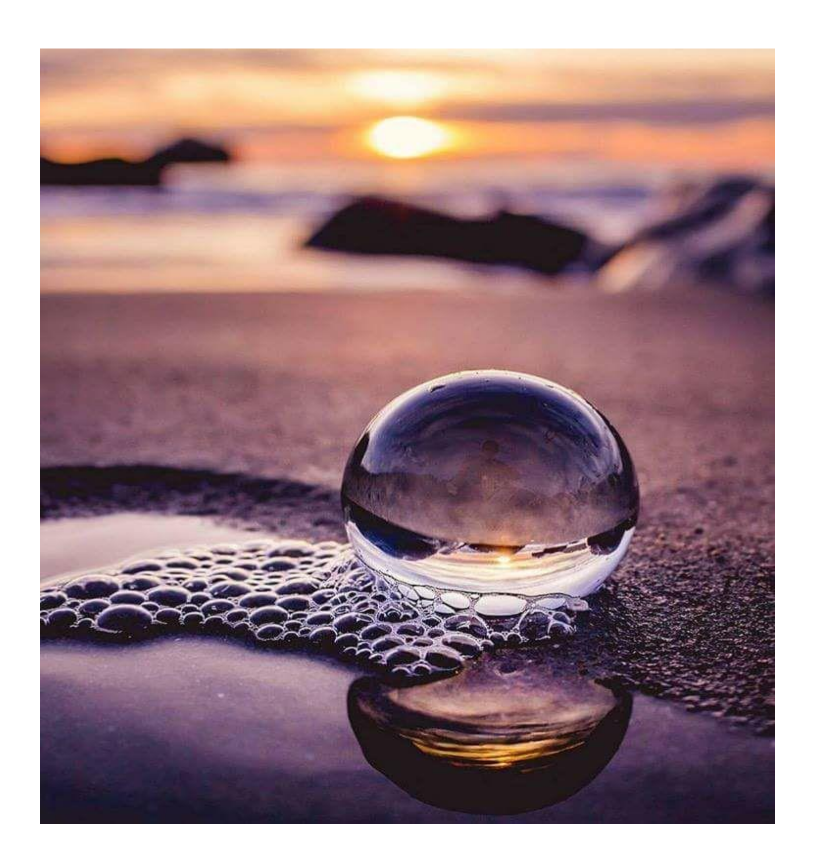
إن أصبَحَت رغَباتُكَ هاجِسًا يُراوِدُك نهارًا ويَمنعُكَ عن النّومِ ليلاً لا تَطمِسها وتدّعي نِسيانَها؛ بل اسعَ وحقّقها، وامنح وجدانَك لهفةً ليُغدقَ على جَسدِكَ شُعلةً قبل أن تَتّقِد.



أتَرينَ ذاكَ الطّريقَ الشائك؟ أغمِضي عَينيكِ وحَلّقي مَعي للسّير فيه، أتُبصرين تلك الأرض التي تبوحُ للشجرة سرّ نموّها ومَدى الوقت الذي استغرقَتهُ حَتّى أينَعَت وحانَ موعِدُ قِطافِها؟ كَذلك حُلمنا فهوَ لن يُزهِر إلّا باتّحاد تُراب أنفاسنا وعناق أفئِدتنا؛ فهيَ ليسَت إلّا بُرهةً وأعِدُكِ أنّنا سنبقى معاً لتجاوُزِ هذا الجدار؛ فمكانُنا ليس هنا.



تَصفّحْ أنَاكَ، والتَحِف بغِطاءِ كلِماتِه التي طالما أرادَ أن يُخبرك بها؛ فَعَلى الرّغمِ مِن أنّ الغُروبَ سَتَر وَجهَك المُتبدّد إلا أنّ هيامَ عِشقكَ جَليٌّ وظاهِرٌ يَرتوي من السُّحبِ، ولن يَستُرَهَ أو يُخفيهِ حتّى ظلام الليلِ.



حتّى لو كُسِرَت أصابِعُ آلتِكَ دَع صَفيرَ روحِكَ يَنطِقُ لحنًا يَجْبُرُ أيّ شَرخٍ مَنعَك عن إكمالِ ما بدأتَ بِه.



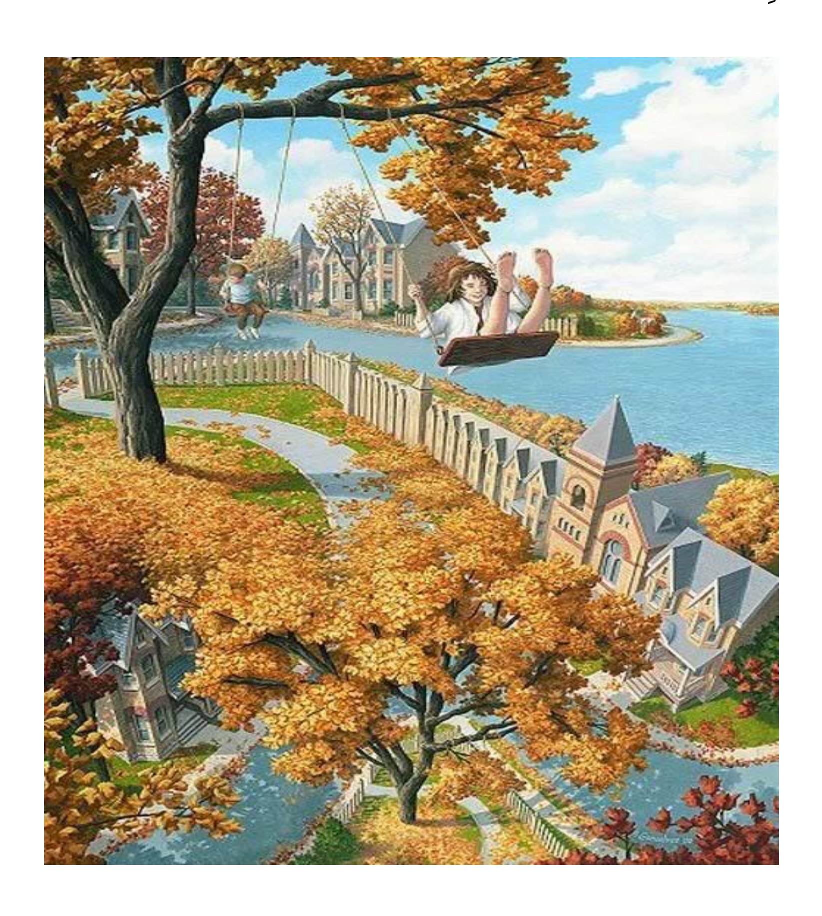
تَتّكِئ حَواسُكَ على عَقارِبِ السّاعة مُترقّبةً إيّاها بعد طولِ انتِظار، فلا بُدّ أن تَتماها الرّؤى مُحلّقةً أمامَها نحو الضّياء؛ فتَستشعِرها وتمسّها قبل أن تَغرب!



هي ذكرى ذَهَبت مع الريح، ولكنّها سُرعان ما عادت، رُبّما اشتاقت لي؛ فهي أحبّت الاستقرار داخلي، قَلبت المَوازين، وأعادَت كلّ شيءٍ إلى البداية... نسِيَ النّسيان ما اتّفقنا عليه، وَعَدني بأن يبقى معي ولكنّه كعادَتهِ يَرحل ويَترك تلك الذكرى تتسلّل لتَنهشَ ما تُريد.



تلكَ الأيّامُ الخَوالي لَن تعودَ يومًا، أصبَحَت ذِكرى تائهةً بينَ السحاب، ولكنّ أثرَها باقٍ ويَضعُ بصمةً داخِلَ قلوبِنا إمّا أن تَكونَ سعيدةً مُفرحةً وإمّا حزينةً مؤلِمة... تبدّلت الأيّامُ وأتت أخرى لتأخُذنا إلى مكانٍ آخر وتُنسينا ما تَعلّقَت قلوبُنا به ومَضى، ولكنّها فَشلَت في مهمّتِها لتُصبِح هِي الأخرى مُجرّدَ ذِكرى...



ذاك الحُلمُ المُنتظَر الذي تخطّيتُ كلّ الحدودِ بحثًا عنه، وعَبرتُ كلّ السّبلِ لأمسك به، تارة ألمحُه وتارة أخرى يختفي، فعلتُ المُستحيلَ لأجده، ولكنّ الواشينَ يقِفون كالحاجز أمامي، هم سيّئون ولكنّهم يجعلون لحياتي طعمًا ممزوجًا بالتحدّي والإصرار، فأيّ شعورٍ باليأس ينتابُني سرعانَ ما أسيطرُ عليه وأمحوه من ذاكرتي لأبدأ من جديد في سباقٍ مع الحياة لتحقيق ما أصبو إليه.



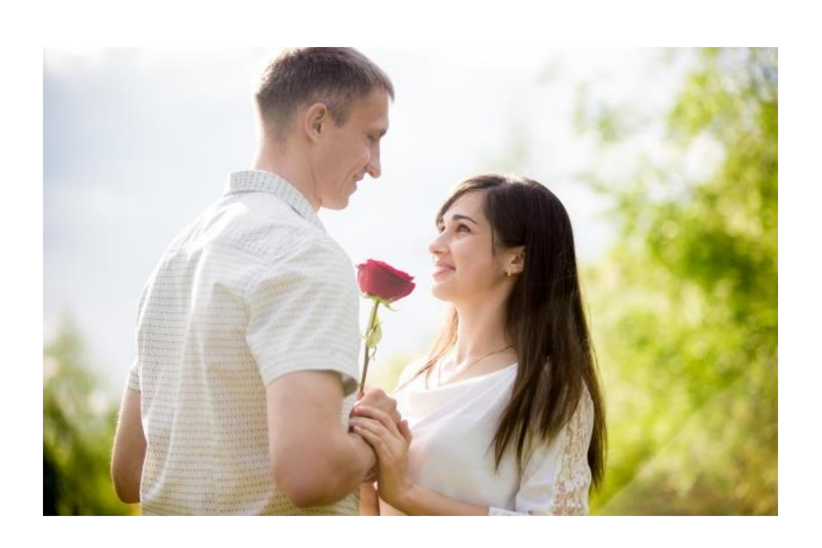
بعدَ بُرهةٍ من الزّمن اعتادت على غيابه، فأصبح مُجرّد ذكرى اختفت وتلاشت كالغبار، لم يبقَ له أيّ أثرٍ في قلبها، ظنّت أنّها تخلّصت من بقاياه التي تقطُن داخل جسدها، لكن ما إن رأت تلك الصّورةُ التي تجمَعهما معًا ملقاةً داخل كتابها المَهجور منذ أعوام، عادت ذاكرتها مُفعمةً بالشّوقِ الشديد لأيّامٍ رَحلت تاركةً خلفَها غصّةً لا تُمحى، عندها أدرَكت أنّه كمرضٍ عُضال لا شفاء منه.



كانت كلّ يومٍ تَجلسُ أمام نافذتِها ترتشفُ قهوةَ الصباح استعدادًا للكتابة التي أولعت بها، اعتادت على استرجاعِ ماضيها في كلّ حرفٍ تكتبه، فهو دافعُها لكتابة المَزيد، وهي تهوى ذاك الماضي بجميع حالاتِه المُفرِحة والمُؤلمة ... استيقظت اليوم على غيرعادتها، وأرادت أن تُغيّر طابعها في الكتابة لتعبُرَ جسر الماضي مُتّجهةً إلى أمنياتِ المستقبل، فأمسَكَت قلمَها المعتاد وخطّت أناملها عبارة أود أن أكون ... لتُدهَش بأنّ حبرَ قلمها استعجَل على النفاد.



تقدّم نَحوَها مُبتسمًا حاملاً خلفه وردةً لها رونق خاص، فلبريقِها ونعومة ملمسِها سحرٌ يجذبُ كلّ ناظرٍ إليها، والمُتأمّل لتفاصيلِها يشعُر بدفء يتملّك أحاسيسه؛ فهي تجمع كلّ درجاتِ العشقِ بين ثَناياها، يَحملُها كلّ عاشقٍ ليهدي بها معشوقته، حتّى لذبولها وانحنائِها هيامٌ من نوع آخر؛ فمهما كانت الظروف يبقى عبقُها منتشرًا في كل مكان... انحنى أمامها ليُقدّم تلك الوردة لها قائلاً: لا أريدك إلا وردةً لي فهي رمزٌ لكلّ عاشق وأنتِ رمز عشقي الأبديّ.



ألقَت جَسدها الهالِك على تلك الكَنَبة، لتُحلّق بفكرها بعيدًا، متأمّلةً ذكرياتها البالية، والنار تتأجّج في قلبِها حُزنًا على حالتها، واشتياقًا لأحداثٍ كانت تُمثّل الحياة بالنسبة لها، لترى أنّ الزمن قد توقّف عن الدوران... كان الظلام حالكًا إلا أن خيوطَ الضّوء من النافذة تسلّلت إلى داخل جسدها، وتيّار الهواء تَلاعب في صدرها ليجتاحَ مَكنوناتها ويُحيي فيها الأمل من جديد... مَسَحَت دموعها وأغمضت عينيها كشُعاعٍ خافت لتغرَقَ في محيطٍ لا نهائيّ من الأحلام.



احذروا من يهوى الكتابة!! فقد يجعلُ من نَظراتكُم جمراً يوقِدُكم به حيثما شاء، ومن صمتِكُم حكاية حياة عجز علماءُ النّفس عن تفسيرها، ومن أملكُم أملاً تعتصرون به، ومن دمكم الساري في عروقكم سُمًّا تقتلون به، ومن جُرحِكم الصغير نزفاً تلوجون في أعماقه حدّ الغرق، ومن حروفكم روايةً تخترق صميم ذواتكم، ولكن إن كسبتُم قلبهُ جعلكم بقلمه نسماتٍ تُحلّق في الهواء وأبطالاً في أسطورة عجز التاريخ عن نسيانها.



ادْنُ من أحلامِكَ وتشَبَّث بِها تَشَبُّثَ الغَريقِ بقاربِ النَّجاة؛ لأنَّ ما تَصبو إِليْهِ لن يَتحَقّق إلاّ بِالمواجَهَة والتّمرُّدِ على الواقِع.



فِي الإبصارِ نعمةٌ وحياة، ولكنه سرعان ما يتحوّلُ إلى نقمةٍ تهدم أجسادنا؛ إذا عاش الفرد فِي مجتمعٍ كلُّ من فيه عميان.



على وَقعِ اللحنِ الذي يعزفهُ هدوءُ الليل، ننبِشُ هُنا وهناك لنبحَثَ عن راحةٍ تحلُّ على قلوبِنا لتُزيل ما عَلقَ بها من شَوائب رسمتها الأيّام، ونُفتّشُ مِرارًا وتكرارًا عن سببِ الغَشاوةِ الّتي أصابت أعيُننا لتظهر جليًّا بين سطورِ أحاديثنا، فُتورٌ وصمتٌ يحملُ خلفَهُ كلماتٍ عجزَ الظّلامُ عن سترها، رغبَةٌ جامِحةٌ بأن تبعَثَ السّماءُ رسالةً ذات مضمونٍ مُختلف، ادعوا فالدعاء ليس حظرًا على أحد ولكن آمنوا بالقَدر الذي كُتبَ لكم.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

حينَ يترنّحُ البَشرُ يمينًا وشمالًا مُحاولين التوازن، وحين تذوبُ أماني العاشِقين أمامَ لحظاتِ الواقع، وحين يَعتقدُ العالمُ أنّ كلّ نَوافذ النجاةِ أُغلِقت ويصعُبُ فتحها، وحين تصمِتُ أعيننا وفي داخلها صراخٌ شَديد، وحين تَتساقطُ الآمالُ أمامَ الباحثين عنها تِباعًا كأوراق الخريف، وحين تتحشرجُ الحروفُ بين شِفاهنا وهي تأبى الخُروج، يَظهر ُالقَدر ليَلعبَ لعبتهُ قالبًا المَوازين ليُجرّعنا كأسًا ذا طعمٍ مُختلف.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

اليوم أتمّت الثالثةَ والعشرين من عُمرها، اجتاحَها شُعورٌ مُختلف؛ فخَرجت لتتفسَّح في أحضانِ الطبيعة... كانت الشّمسُ في هذا اليوم أخفّ وطأةً من المُعتاد، قطَعت مسافاتٍ وهي تُعيد شريطَ ذِكرياتِها غارقةً في بحرٍ من الصَّمت، تُرسِلُ أمنِياتها إلى السّماءِ عبر الضّبابِ الذي يَكتنِفُ المكان، وتضَعُ خطّ سيرِها في السّنواتِ المُقبِلة حتى وَصَلت إلى طُرقٍ مُتشعّبة، فأغمَضَت عَينيها مُحتويةً ذاتها، وحَاولت أن تلتمس دربَها من بينها دون أن تعرف بِدايتها من نِهايتها.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

الغد، المُستقبل، الأيّام، الخوف، القلق... كلماتٌ عدّةٌ تدور حول نفس الحَلَقَة داخل مُخيّلتِنا، وتَغزو عقلَنا حتى تَستوطِنَ فيه، عِباراتٌ نُردِّدها كُلّ يومٍ داخل نُفوسنا، ونَسمَحُ لها بأن تَقتَحِم أجمَل لحَظاتِنا التي لا نَستَشعِر قيمتَها بسببِ أوهامِنا، نَخافُ أن نفقِدَ من أحبَبنا وهُم بين أيدينا، نَخشى الفشلَ ونحنُ في ذروة النّجاح، وكأن شبح الغد يُلاحِقُنا دون أيّ كللٍ أو مللٍ، أصبَحنا نتلذّذُ بتعذيبِ أرواحِنا دون أيّ مُبرّر بحُجّة أنّ الأيّام هي السبب، وأنّ المُستقبلَ يُحمّلنا ما لا نطيق، رُبّما استَعجَلنا بوضعِ ذَواتِنا في خانةِ جَسَدٍ بلا روح، وأصبحنا نُردِّدُها مُتناسينَ أحلامَنا، وقُدراتنا، وقوّتنا... يبدو أن إدماننا على مشاهدة "الدراما التراجيديّة" جعل مِنّا أناساً مُختلفين دون أن نَشعر.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

هل الإنسانُ مُسيَّر أم مُخيّر؟!!

سؤالٌ راوَدَها في هذه الليلة الخَريفيّة وهي تُراقِبُ النّجوم، هل اختار كلُّ نجمٍ مَكان وجوده في حضنِ السماء؟ أم أنّ القَدر من كَتبَ له ذلك؟.. سُبُلٌ مُتعدّدة ومُتشَعّبة تُواجِهها في كلّ يوم، فإمّا أن تظلَّ واقفةً مكانَها مُحتارةً في أمرها، وإمّا أن تختارَ إحداها دون أن تَعلم أهوَ القَدرُ الّذي اصطَفى لها ذلك، أم أنّ جَسَدها من قادَها إلى هُنا بمحضِ إرادته.

حَاوَلت أن تبحَثَ عن الإجابة، نَبَشت جميعَ الكُتُبِ الّتي كانت بحَوزَتها، ولكِنّ النّتيجةَ واحدة، حيرةٌ تزدادُ وفضولٌ يَشتعلُ داخلها، هناك من حدّثها بأنّ بعض الأمور ُمقدّرةٌ وليس لنا دورٌ في تحديدها، وأخرى نحنُ مسؤولون ومُحاسبونَ عن اختيارها، ولكن كيف سَتُفرّقُ هي بين ما اختارتهُ بنفسِها وما اختارَه القَدَر لَها؟!!

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

بَعدَ سَنواتٍ من الغَرَق في الخوفِ والقلق، أتى طوق النّجاةِ ليُنقذَ قلبيهِما بعد عناءٍ طويل، فهو حُلمُها الذي طالما راوَدَها، وهي واقِعُهُ الّذي كم تمنّى أن يدنو منه، اليوم أوفى بعَهدِهِ الّذي قَطعَهُ معها، فحُبُّهما نضَجَ وحان موعد قطافه، وقَفَ أمامَها ليَنطقَ كلمَته وهي تُتابع حَركَة شفتيه، مُتمعّنةً في عينيه، تعصِفُها أحاسيسُ الاضطِراب؛ ولكن قَلبها يَستكينُ فرحاً باللحظَةِ الأسطوريّة التي خطّطت لَها... خرقت كَلمتُهُ مَسامعها، ليَشهد العالم انصهارَ روحِها بجسدِهِ تتويجاً لرباطِهما مدى الحياة.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

التَهمَ العشقُ جَسدَها، وتسلّلَ إلى أعماقها، واستحوَذَ على مُخيِّلتها؛ فبعدَ استِنشاقها لنسماتِ اللّيل العليلة، وبمُجرّد سماعِها لموسيقاها المُعتادة قرّرت روحها الانفصال عن جسدها، وأعلن قلبُها الثّورة، وأبى أن يَستجيبَ لأوامرها بأن يستكينَ ويهدأ، فمِن مَنظورِه، الحياةُ لا تُعاشُ إلا بالتمرّد...!!

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

كم أنتِ حَزينةٌ أيّتها السماء!! أما آن لكِ أن تبوحي بكبتِكِ؟ احتضنْتِ الجَميع، وتوانيتِ في عنايتك لذاتِك، تقِفين عاريةً والرّيح تعصفُ بكِ من كلّ الجهات، حتّى الطّيور هاجَرَت وتركتك وحيدةً مُنطويةً على نفسك، لم يَبق لديكِ نديمًا ومؤنسًا لوحشتِكِ سوى الأرض، ولكن حذار فهي تترقّب في سرِّها بوحَكَ وبكاءكَ كي تروي ظَمأها.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

تحتضُنُ شمسُ الصّباحِ بين أحشائِها نورًا يمتَزِجُ بهِواءٍ عَذب يُشعِلُ دربَ الأمل، ويَمحو عَتمَةً وظُلمَةً خَلّفَها الليلُ في قُلوبٍ كادَت تَعتقِدُ أنَّ النّهايةَ قَد حانَت، لتَجدَ بأنّها بدايَةٌ أخرَى.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

كُلُّ دَمعَةٍ تذرفُ من السَّماءِ تتَلقّاها الأرضُ بكُلِّ شَغَفِ كي تَحيا بعد تَعطُّشٍ سَرمديّ، وكَذلكَ العينُ تَنثُرُ بكاءَها كي يَنتعِشَ القلبُ بعد ألمٍ شجِيّ.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

الخَوفُ.. يَبدو أنّ هَذهِ الكَلمَة باتَت تَتَردَّدُ على مَسامِعِنا وكأنّنا يَجبُ أن نَتَجرَّع مِنها كُلَّ صَباحٍ قبل أن نَبدَأ يومنا، فنحنُ مَن فَرَضنا هَذهِ الكَلمةَ على عَالمِنا، وتَوَهّمْنا بأنّ عُبورَنا سَيرَ الحَياةِ مُتوقّفٌ عَلَيها، فَغَدَينا نَخافُ مِن مُستَقبلنا، ومِنَ المُحيطينَ بِنا، وحَتّى من أنفُسنا!! وكَي نَتَهرّبَ من هَلعِنا ومن واقِعِنا المَرير الّذي رَسَمناهُ بأيدينا أصبَحنا نَلجأ إلى العَالم المُزيّف لنَقرَأ أو نُشاهِدَ قِصَصَ الخَيال والأساطيرِ الّتي أصبَحنا مُدمنينَ عليها، فمِن غيرِها يُطفِئ رَغبتنا بَعدَ تَوقّدِها!!

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

حينَ يَعصِفُ الشّوقُ قُلوبَ المُحِبّين تَطوي الشَّمسُ صَفحَتَها الأخيرةَ ليَحلّ الغُروب ضَيفًا، فتتأرجَحُ مَشاعِرُ الكَلماتِ في أفقٍ السَّماءِ تارِكَةً لحنَ الدُّجى يُدوّي صَداهُ في الأرجاءِ ليُعبّرَ عَن حنينِهم.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

الصّمتُ لُغةٌ تُعبِّر عن تَرنُّم وأنينِ القلب، هو حيٌّ في داخلنا، وبِه تَهيمُ أرواحُنا، ومن خِلالِه يَعبُر صوتُنا أوتارَ السَّماءِ، فحينَ نَصمِتُ تَبوحُ أصابعُنا عَنّا فتَكتُب.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

مَعَ أنّ فُراقَ الأحبَّةِ وَوداعهم موجِعٌ ومُنَغّصٌ للقلبِ إلا أنّه يوقِظُ الأشواقَ ويُشعِلِها رَغبَةً وتَرقّبًا لمجيء لحظَةِ التّلاقي، فلولا ظمَأ الحَنين ما كان اللقاء يَروي العاشِقين ليَتجَدّد عشقُهُم.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

تَدورُ بِنا عَجلةُ الحياة، وتأخذنا إلى دروبٍ لم نَكُن نوقنُ يومًا بأنّنا سنَعبرها... كم هي أنانيّةٌ الأيّام حين تَمضي دون أن تُودّعنا أو حتّى تَكترث بِما نشعر، ورغم ذلك ما زِلنا أوفياء لها، ونتوق مرارًا للُقياها حتّى ولو في أحلامنا...سلامٌ عليها.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

لِمَ ليسَ هُناك صِيامٌ للذاكرة؟ فهي أصبحت مُمتلِئةً حدّ الانفِجار، يؤجّجها لهيبُ الماضي... نغرس فيها أفكارَنا وهواجِسنا، ونجوبُ بِها العَالمَ في لحظة... أما آن الأوانُ كي تسكُن وترتاح؟ يبدو أنَّهُ عَلينا أن نَرسُمَ لها خطًّا جديدًا مُختلفًا عن ذاك الّذي اعتادَت عَليه قبل أن تُعلنَ الثّورةَ علينا.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

حينَ تَجتاحُكَ رَغبةٌ جامِحَةٌ بالإقدامِ على إنهاءِ قصّتكَ الّتي كُنتَ قَد كَتبتَها، وتسعى لأن تَكونَ مُختلِفةً عن جَميعِ النّهاياتِ التي قرأت عنها أو شاهدتها...هنا تَكمُنُ خُطوتُك الأولى للتغيير والتحرّر من كافّة القيود؛ فابدأ واسعَ لما تَصبو إليه لعلّ الحياةَ تُغدقُ عليكَ بحَنينِها، وتُلبسكَ ثوبَك الّذي طالما بَحثتَ عنه.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

يَكفيكَ الحَومُ حول الدّائرةِ نفسِها بحثاً عن مَخرجٍ يودي بِكَ إلى أقاصي الأرض، حتّى نفسك ملت منك ومن ماضيكَ الّذي ما زلْتَ مُتشبّثًا به وكأنه هواؤك الذي تتنفّسه، ودموعُك التي تنهَمِرُ كلّ يومٍ كالأمطار في ليلةٍ رعديّة أما آن لها أن تسكُن وتَهدأ!!...اعتق ذاتَكَ واحتضِنها، ودع نغمات جسدك تتراقص باحثةً عمّا يحييها لتستمر في الوجود.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

حينَ تَتصارَعُ حواسُكَ داخلَ نفسِكَ لتُفرغَ طاقتَها المَكنونَة على حِسابك، تقِفُ أنتَ عائمًا في دوّامَتها باحثًا عن مُنقذٍ يُخلّصكَ من تيهك، فتُناجي عَقلَك ليَحسمَ لك الأمر ويُسَيّرك إلى الصواب، ولكنه يخذلك!! ويتبيّن لك فيما بعد أنّه أوّلُ من قاد حواسَكَ في عراكها.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

تَختلطُ أحيانًا المَفاهيمُ والأفكارُ داخل الإنسان حتّى لا يكاد يُدرك طبيعةَ نفسه، فيلجأ إلى الكتابة كي يَعزفَ إيقاعاته التي سيَسير عليها، أو ربّما ليُوثّقَ أحداثه الواقعيّة أو حتّى الخياليّة التي قد تَحصل معه، فيَتحرّر داخليًا كي يَكتشِفَ الجَوانب المُضيئَة والمُظلِمة التي تُحيطُ به، ويوهِمُ القارئ لِكتاباته بأنّه يوصِلُ إليه فِكرةً ما لتُلامِسَ قلبَه، ولكنّه في الحقيقة يختَبِئ في ظلّ رموزه التي لا يفهم ماهيّتها غيرهُ.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

يَتوقُ قلبُكَ إلى التغيير، ولَكنّك لا تُحقّق رَغبَته المُلحّة بتَشَبّثك مَكانك، اخلع رداءَك القديم، وحَرّر روحَكَ من أسرها، احتَضِن لهفَتَك المتوقّدة، ولا تَشتهِ أن تُقبل إليك الحياة وتمنحك جودها؛ بل باغِتها واذهَب أنت لزيارَتها دون استئذان.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

حياتُك كالكِتاب، تَحتوي على العَديدِ من الفُصول، وكُلّ فَصلٍ فيه حبكةٌ قَد تَنسجُها أنت، أو يَكونُ القَدَر هو المُتحِكِّم بها... تَحومُ حَولَ نفسِكَ كثيراً لتُرضي رَغبَتك وتُسكِت لهفَتَك في مَعرفةِ نهايَةِ القصّة، ولِكنّك تَدخُلُ إلى مَتاهةٍ جَديدة، فتَكتشِفُ فيما بعد أنّ هناك أجزاءً أخرى لِكتابِكَ لَم يَحن موعِدُ نَشرِها، وما زالَت طورَ الطّباعَةِ بَعد!!

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

أحِط روحَكَ بالسَّلام، واحمِها من الّشتات، ولا تُقارِنها بِجَسَدك الذي يُكابِدِ الشّقاءَ للعَيش؛ فالجَسَد إن تَعبَ تَكفيهِ بضع ساعاتٍ من النوم كي ينهَضَ للحَياة، لَكِنّ الرّوح إن تَعِبت وعُذّبت أغرَقَت صاحبَها حدّ التّلاشي.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

يسري الإدمان في عروقك ويتغلغل بها حتّى تتعلّق به، فقد تُدمن أفعالاً أو أشخاصاً يغرسون السعادة والتعاسة داخل قلبك في الآن نفسه، ومع ذلك تُحاول مراراً أن تجد دواءً لهذا الداء الذي غزا جسدك فتنجح بضع لحظات، لتعود بعدها إلى ثَمالتِكَ ناسيًا ما كنتَ بدأتَ بِه.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

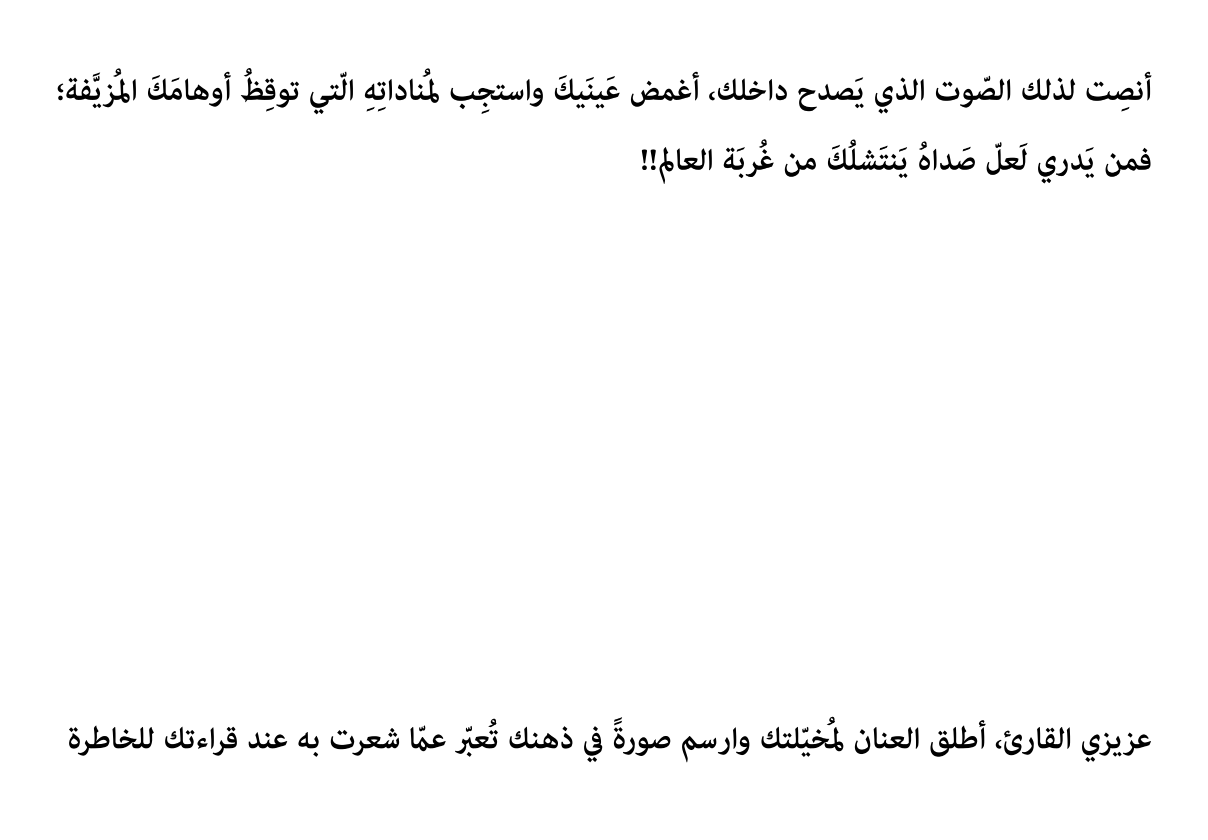
انسَدَلت ستارةُ هذا العام لتُعلِنَ عن انتِهاءِ جُزءٍ آخر من روايةٍ ارتأى المُؤلّف فيها أن يَضَعَ بَطَلَهُ في مَتاهةٍ غيرِ واضحة المَعالم ... ولكن ما هِيَ إلّا بِضعُ دقائق حتى يُلوّح لهذا البطل عامٌ جَديدٌ تَمتزِجُ فيه أنغامُ الرّياح من قَطراتِ المَطر لتَرسُم له دَربًا يُبصر به ضَوء الحَياة.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

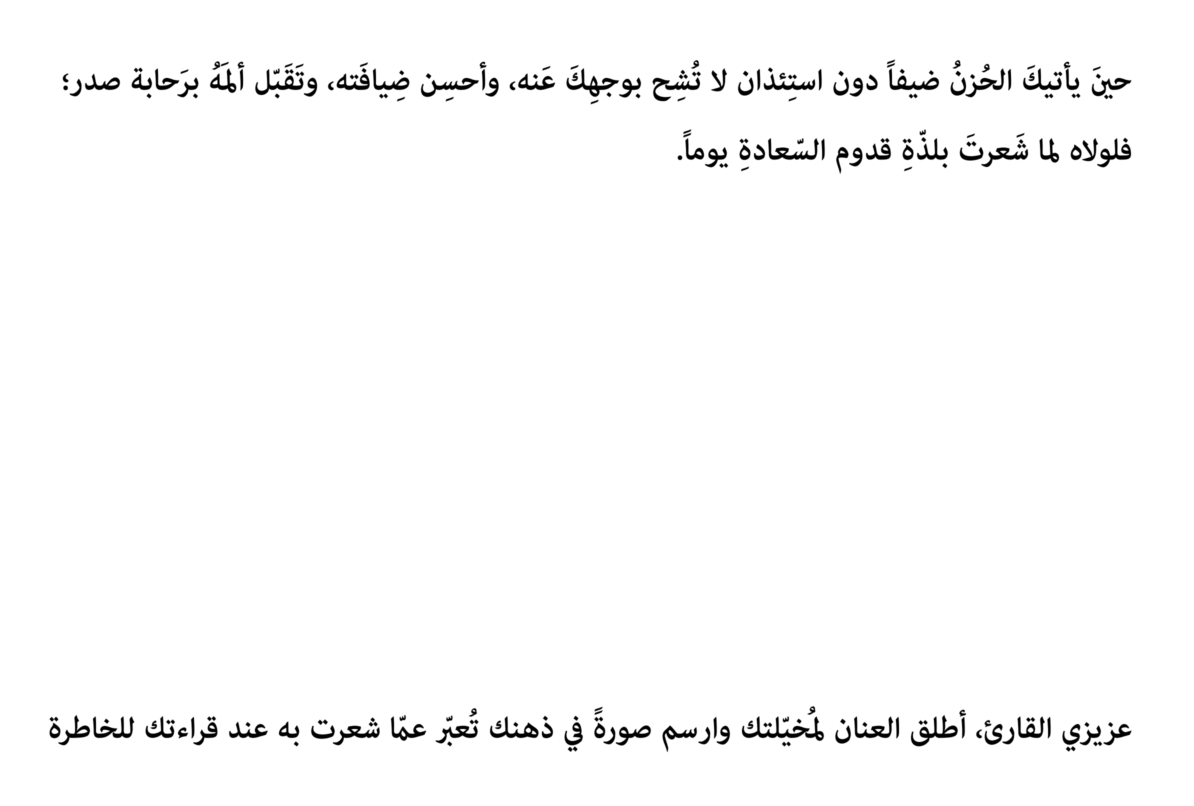
جَميعُهُم مُتَشابِهون، يَرتدونَ المَلابس ذاتَها، يَحمِلونَ الفِكرَ نفسه وكأنّهم تَجرّعوه مَعًا مُنذُ الطّفولة، يُحيطونَ أنفسهم بقيودٍ خَطّتها أنامِلهم، حَتّى حُبّهم يُعبّرون عَنهُ بتقليديّة دون ابتِكار، هم ليسوا إلا أجزاء مُتسَلسِلة لرِوايةٍ مُملّة تُجبَر على إتمامِ قراءَتها لعلّ نهايَتها تُشعرك بالاختِلاف.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

أنصِت لذلك الصّوت الذي يَصدح داخلك، أغمض عَينَيكَ واستجِب لمُناداتِهِ الّتي توقِظُ أوهامَكَ المُزيَّفة؛ فمن يَدري لَعلّ صَداهُ يَنتَشلُكَ من غُربَة العالم!!



عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة



حينَ يأتيكَ الحُزنُ ضيفاً دون استِئذان لا تُشِح بوجهِكَ عَنه، وأحسِن ضِيافَته، وتَقَبّل ألمَهُ برَحابة صدر؛ فلولاه لما شَعرتَ بلذّةِ قدوم السّعادةِ يوماً.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

كثيرةٌ هي الأحداثُ الّتي قد تُجرّد الإنسانَ من إنسانيّته، وتَهوي به إلى سراديبَ مُظلمة غير واضحةِ المعالم، ولكنّ هدايا القَدَر سُرعانَ ما تتعقّبُ أثرَه لتنتَشِله من بُؤسه، وتُحوّل ليله المُدلهمّ إلى نورٍ يُبصِرُ بِه الكون.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

لحظةُ صَمتٍ تحمِلُكَ مَعها إلى عَالمٍ لا افتراضيّ، توقِدُ مَشاعرَكَ الساهدة، وتُغرِقُ روحَكَ الهائِمة لتَنسابَ فوقَ هياكِل الزّمن، تُثمِلُ عقلَك بترانيمِها السرمديّة فتغُطّ في سباتٍ عميق...هي ليسَت سوى لحظةٌ تُجرّدُ جَسَدَك من كلّ ما يَملك.

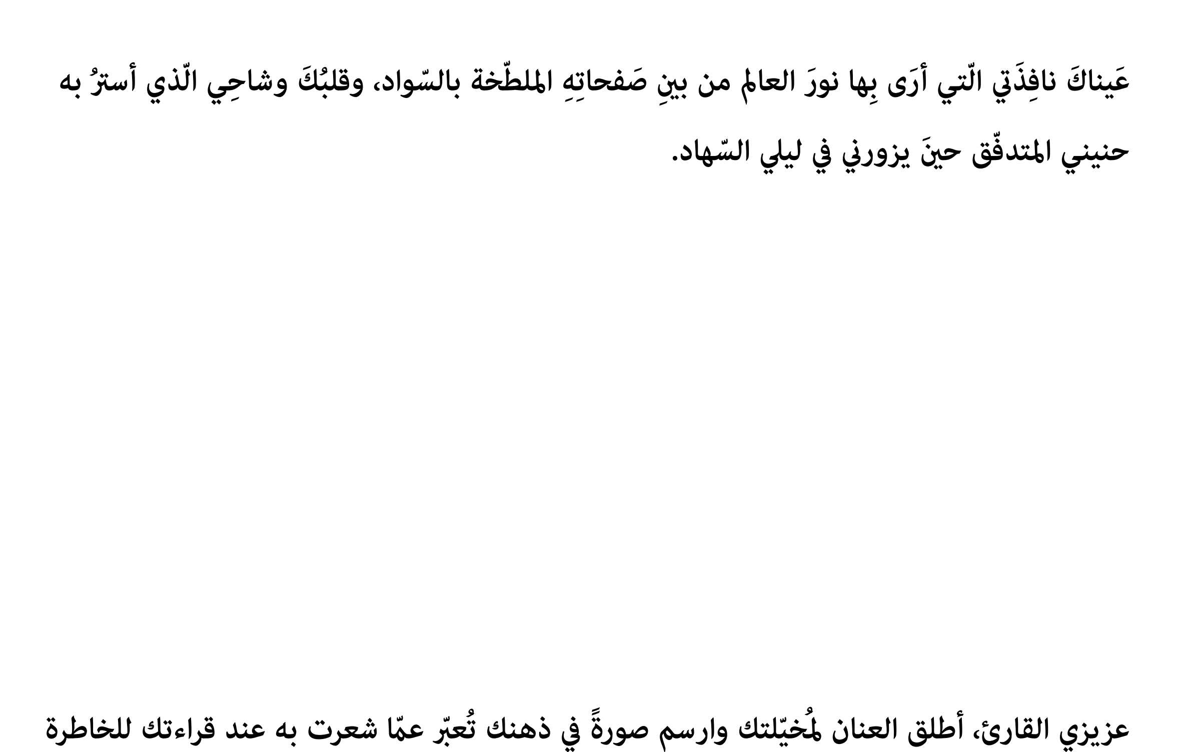
عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

تشبّث بِرَغباتِك، ودَع قلبَكَ يخلعُ رداءَه البالي ليلاً ويلتحِفُ بما يهوى؛ فمَن يدري لعلّ الحَياةَ مع إشراقة شمس يومٍ جَديد تَمنَحُكَ دِفئها، فتُبصِرُ ما لم تبصِرهُ عيناكَ يوماً.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

كثيرةٌ هي الأمور التي عَليكَ أن تُنكِرَ وجودَها وتضع العصبةَ على عَينيكَ كي لا تراها... أوقِف عقلَك عن التّفكير، وامنَح قلبَكَ غَفْوةً كلّ فترة، وادّعِ إصابة أذنِكَ بالصّمم عندما تَسمع ما يُزعجك؛ فصلاحيّةُ أعضائِكَ وحَواسك مَحدودةٌ لا تستَهلكها بما يفوقُ قدرتها.

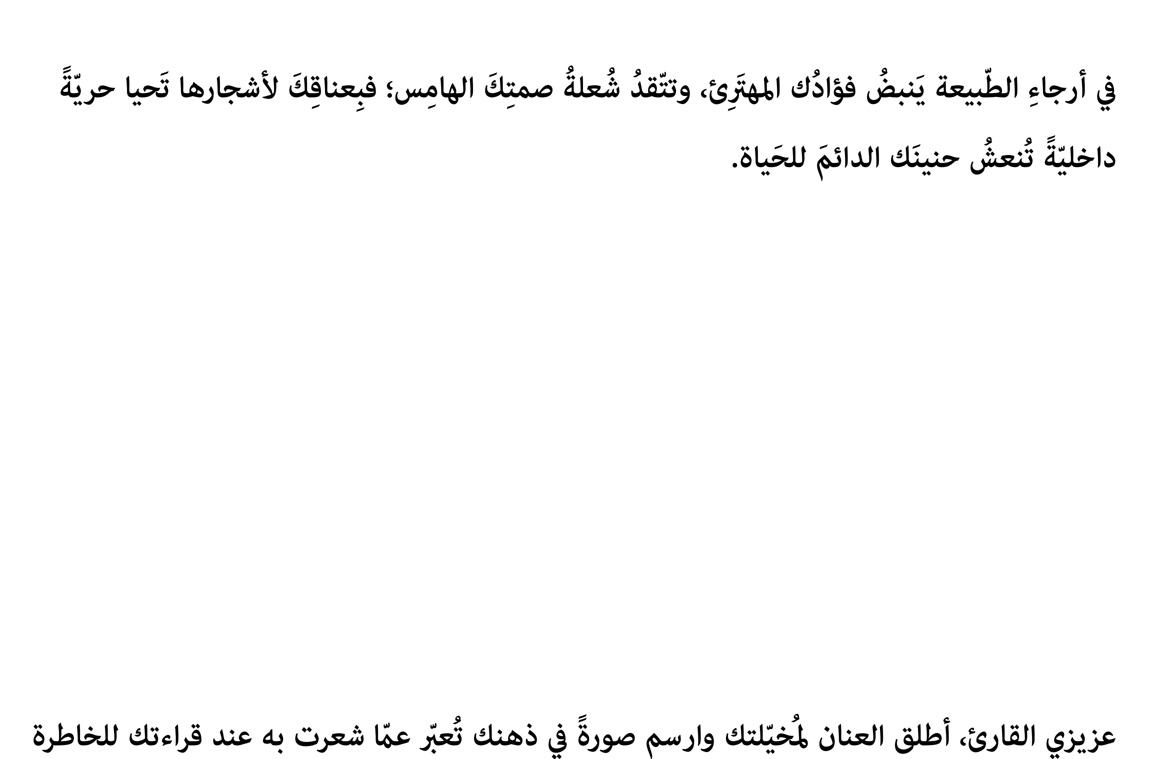
عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة



عَيناكَ نافِذَتي الّتي أرَى بِها نورَ العالمِ من بينِ صَفحاتِهِ الملطّخة بالسّواد، وقلبُكَ وشاحِي الّذي أسترُ به حنيني المتدفّق حينَ يزورني في ليلي السّهاد.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

فِي أرجاءِ الطّبيعة يَنبضُ فؤادُك المهتَرِئ، وتتّقدُ شُعلةُ صمتِكَ الهامِس؛ فبِعناقِكَ لأشجارها تَحيا حريّةً داخليّةً تُنعشُ حنينَك الدائمَ للحَياة.



عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

هِي ليسَت إلّا مجرَّد كلمةٍ من بضعةِ أحرف حَجَبت عن عقلِك الشّارد أفكارًا تجرّعها من الحياة، وسَكَنت فِي قَلبكَ لتُعانقَ وهْجَ النارِ الّذي أعيَاه.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

تَقفُ مِرارًا أمام المكانِ نفسِه، مُحيطةٌ بك الأحداثُ نفسها مع اختلافٍ بسيطٍ في الزّمان فقط؛ تلك هي التّجربةُ التي تتَكرّر زياراتها لك فتُؤثّر فيك لَحظةً أو تبقَى مُلاصِقةً لك زمنًا طويلاً، تُفقدُكَ اتّزانَ عقلِكَ فتَدورُ في حَلقةٍ مُفرَغَةٍ متّخذًا مَنحىً سلبيًّا في التفكير مُختليًا مع ذاتِك، ولكن سُرعانَ ما تَصدُرُ منك صَرخَة عشقٍ مُودّعاً إيّاها لتَخرُجَ مُعافىً سليمًا يتجلّى الجمال من بين ثنايا روحِك.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

تلكَ اللحظةُ الّتي تَتَصارعُ فيها الأفكارُ داخلَكَ مُحرّكةً إيّاك لتنطَلقَ نَحو التغيير، ولتَخوضَ تجربَة السيرِ في طريقِها المجهول حُرًّا بِعقلكَ وقَلبكَ، تُسرِع حواسُكَ في السير نَحوها بِشوقٍ وشَغَفٍ دون توقّف، ولكنّها في اللحظة الأخيرة تَقع في الحَيْرةِ وتَخشى مُعانقَتها، فتكتفي بالتّلويحِ لها من بَعيدٍ لعلّ لقائها بها يَتجدّد يومًا ما.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

كانت تلك الليلة هي آخر لقاءٍ بينهما ، أخبرها أنه ذاهبٌ ليعمل في إحدى الدول، فغَضبَت جدًّا وأمسكته من قميصه بشدّة وهي تصرخ لم فعلت ذلك ؟!! دفعته من أمامها وأكملت السير في ذلك الطريق المظلم شديد الأمطار، والدموع تنهمر من عينيها، والغصّة في قلبِها حُزناً على ما حلّ بها، لحقها مناديًا بصوتٍ مُرتفع انتظري انتظري.. انتظري.. طالبا السماح منها، ركضت مسرعة وهي تمسك فستانها المبلل فتعثرت بحجر في طريقها، فأمسكها من يديها وساعدها على النهوض، وقبّلَها على وجنتَيها قائلاً لا تَحزني، فعودتي قريبة هذا وعدٌ منّي، فأنتِ كلّ ما أملِك ولن أتخلّى عن ثروتي .. مسح دموعها ورحل

ها هي تسيرُ في الطريق نفسها بعد أربعة أعوام ممسكةً طفلَها بجانب رجل آخر، ذاهبان في زيارةٍ إلى بيت صديقِ زوجها الذي لم تتح لهما الظّروف أن يحضرا زفافه.. دقا باب منزله، ففتح لهما ، وهنا كانت المفاجأة، نظر في عينيها الدامعتين ومد يدّه مُرتجفًا ليُسلّمَ عليها مُتلعثمًا في كلامه أهلاً أهلاً تفضّلا...

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

توقَف "الفيديو" عن الدوران ليُعلنَ عن انتهاء الشريط ... شريطٌ احتوى عاماً كاملاً من الأحداث مرّ أمام ناظري، واختزل في ثناياهُ لحظاتٍ كثيرة كانت مَمزوجةً بمَشاعر مُختلفة تصارعت فيما بينها لتثبت قوتها، اقتحم قلبي حنينٌ لأحداثِه التي تلاشَت شيئاً فشيئاً تاركةً خلفَها مُجرّد ذكرى، حان وقت رحيلك أيُّها الشريط، على الرّغمِ من معرفتكَ بأنّي لا أحب الوداع إلا أنك في كلّ عام تُكرّر فعلتك وتشدّ أمتعتك للرّحيل دون أن تكترثَ بي وبما أشعر، لا بأس فما هي إلا ساعات حتى أستقبل شريطاً آخر، من يدري فرُبّما يكون له النصيب الأكبر ليستوطن داخلي ويمحقك من ذاكرتي!!.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة

كأيّ عاشقين في مقتبلِ العمر كانا، أحاطهما الحبّ من كل جانب، وتعاهدا على أن يُبقيانه السّبيل الوحيد لتخطّي العثرات، كانت ليلتُهما كما كل ليلة، طوّقها بذراعه مداعبًا خصلات شعرها على ضوءِ القمر المشع، اعتاد على أن يروي لها شعراً لتخترق الكلمات جسدها، رسما طريقهما الذي سيسيران عليه لتحقيق ما يصبوان إليه...

اليوم هو موعد زفافهما الأسطوري، الذي سيدوّي صداه ليملأ الأرجاء، ستُبحر سفينة حبّهما هذه الليلة لترسو في مينائها بعد تعبٍ مرير... ها قد مرّت سنةٌ على ذلك اليوم وها هي تحمل طفلها وتطوّقه بين ذراعيها، وترتب بيتها الصغير الذي يكاد يكون موحشًا بالنسبة لها، مسؤولية بيته أنسته كلّ العشق الذي سكن قلبه، الإهمال صار سمته الأساسية، أصبح كتابهما مُتقلّب الحروف والرموز، فالقلوب حين تكبر يتغير اتّجاه هواها في نظره... نام طفلها ووضعته على سريره ليرقد بأمان مُغلقةً صندوق ذاكرتها.

عزيزي القارئ، أطلق العنان لمُخيّلتك وارسم صورةً في ذهنك تُعبّر عمّا شعرت به عند قراءتك للخاطرة